أسس النهضة العلمية

في الإسـلام

دكتـور

خالد أحمد حسنين علي حربي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

2013 م

النـاشـر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : 5404480 - الإسكندرية

مقدمـــــــة

تكمن عظمة الاسلام فى تفرده من بين سائر الانظمة والاديان باقامة دعوته على ايجاب العلم على الانسان، ولذلك كان أول ما نزل من القـــران قوله جل وعلى: "أقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علـــق، أقـــرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم،علم الانسان ما لم يعلم"، وكان لهـــذه الـــدعوة الربانية الى العلم، واعلان النبى "صلى الله عليه سلم" "أن طلب العلم فريضة على كل مسلم" الأثر العظيم فى نفوس المسلمن،اذ بعثت فيهم انـــدفاعا،يكـــاد كون فريدا فى تاريخ الأمم، لطلب العلم.

فعاشت الأمة الاسلامية نهضة علمية شاملة فى القـــرون الهجريـــة الاولى، بدأت ارهاصاتها طوال القرن الأول و الثانى، وبلغت ذروتهـــا فـــى القرن الثالث ابان الخلافة العباسية الغابرة. وقد مثل القران الكـــريم والـــسنة النبوية الشريفة أساس هذه النهضة فى العصر الاموى، فستنبط منهما علـــم الفقه، وبحثت من أجلهما مسائل النحو، ونظم الشعر.

وامتد هذا الأساس الى العصر العباسى ليشمل البحـــث فـــى علـــوم الطب، والصيدلة، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، والهندسة، و الفلـــك، والفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، وعلوم اللغة، والفقه، والحديث، والقراءات، والتاريخ، والجغرافية، والاجتماع، والاقتصاد، ووفنون القتـــال، والفلاحـــة، والرحلات ... وغير ذلك، وبالجملة عاشت الامة الأسلامية نهـــضة علمـــة شملت كل علوم ومعارف هذا العصر. فما الأســـاس الـــذى قامـــت عليـــه، وازدهرت هذه العلوم وتلك المعارف؟

تساؤل منهجى رئيس تدور حول اجابته هذه الدراسة.

الحقيقة أن هذا الجو العلمى الذى عاشته الامة الإسلامية فى العصر العباسى إنما يعد أثراً لحركة الترجمة التى ابتدأت فى العصر الأمــوى مــن اليونانية عبر السريانية إلى العربية، وبلغت ذروتها فى العــصر العباســى. وكان لتشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء، إلى جانب انتــشار المكتبــات العامة والخاصة، أثر بالغ فى ازدهار الحركة العلميةفى عمومها. وقد اتخذت هذه الحركة عدة صور مميزة لها من نقل، وترجمة، وتنقيح، وتعليم، وتأليف، وابتكار، وكان من أبرز صورها أيضاً انتشار مجالس التعلــيم فــى معظــم أرجاء العالم الإسلامى آنذاك.

كما يرجع الفضل الأكبر لبيت الحكمة الذى كان أكبر حلقة وصل فى العالم الإسلامي ، أوجدت لحمة التواصل بين علوم الأمم الأخرى والعلــوم العربية الإسلامية فيما بعد ، وذلك من خلال حركة الترجمة والنقــل والتــى تمت فى بيت الحكمة على أكمل ما يكون . والتى تعتبر أيضا أكبــر جــسر ثقافى عرفته الأمة العربية الإسلامية فى ذلك العصر . فكان بيــت الحكمــة الشهير أقرب الى معهد للدراسات المتقدمة المتخصصة فى ترجمــة العلــم اليوناني والمعارف اليونانية. وغيرها من علوم ومعارف هندية وفارســية . وبواسطة بيت الحكمة حفظ للإنسانية كثير من تراث الإغريق الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية للوصول إلى هذا التراث.

وكذلك شَكَلَ منهج الجدل والحوار والمناظرة أحد الركائز الهامة التى ارتكز عليها المجتمع الإسلامى إبان نهضته العلمية فــى القــرنين الثالــث والرابع الهجريين. فكانت مجالس المناظرات من أكبر العلامــات المميــزة للنضج العلمى الذى بلغه العلماء آنذاك.

اذن لدينا ثلاثة أسس رئيسة قامت عليها نهضة الامـــة الاســـلامية، وهى:حركة الترجمة والنقل، وبيت الحكمة البغدادى، ومنهج الحوار والجدل والمناظرة،ولذا اقتضت طبيعة الدراسة ان يقسم الموضـــوع الـــى الفـــصول التالية:

الفصل الاول: حركة الترجمة وانفتاح المسلمين على علوم ومعارف الأمم الأخرى بدأت فيه بمدخل يتضمن بداية تعرف المسلمين علـــى علـــوم الحضارات الأخرى، وهى علوم اليونان، وعلوم الفـــرس، وعلـــوم الهنـــد. وكيف سارت حركة الترجمة من لغات هذه الأمـــم إلـــى اللغـــة العربيـــة. ثم تعرضت لبيان مدارس الترجمة، فوجدنا، مدرســـة حنـــين بـــن اســـحق، ووقفنا على أهم مميزات وخصائص العمل العلمى الجماعى لهذه المدرســـة. ثم تعرضنا لمدرسة ثابت بن قرة كمدرسة ترجمة "رياضيياتية" فـــى مقابـــل مدرسة حنين، وكذلك مدرسة بختيشوع الطبيتين. وانتهينا فى هذا الفصل إلى أن أهمية هذه المدارس إنما تقاس بمقدار الإنتاج العلمى لعمل الجماعة ككل، وأثر ذلك على الأجيال العلمية اللاحقة.

الفصل الثانى خاص ببيت الحكمة وأثره فى ينية المجتمـــع العلمـــى نشاط والجماعات، و فيه حاولت إبراز الدور التاريخى الذى لعبه بيت الحكمة كأول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامى، وكأول جمعيـــة إســـلامية تجتمع فيها جماعات العلماء للبحث والدرس، فكان بذلك مركزاً علمياً شـــمل العلوم والحكمة، ولعب دوراً هاماً فى نقل تراث الحضارات القديمـــة إلـــى العالم الإسلامى. والفضل الأكبر له يرجع إلى أنه كان أكبر حلقه وصل فـــى العالم الإسلامى أوجدت لحمة التواصل بين علوم الأمم الأخـــرى والعلـــوم العربية الإسلامية فيما بعد، وذلك من خلال حركة الترجمة والنقل والتى تمت فى بيت الحكمة على أكمل ما يكون. فكان بيت الحكمة أقـــرب إلـــى معهـــد

للدراسات المتقدمة المتخصصة فى ترجمة العلم اليونانى والفلسفة اليونانيـــة، وغيرها من علوم ومعارف هندية وفارسية. وبواسطة هذا البيت العظيم حفظ للإنسانية كثير من تراث الأغريق الذى ضاعت أصوله، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول إلى هذا التراث.

الفصل الثالث منهج الجدل وتأسيس العلوم ، وفيه بينت كيف شـــكل منهج الجدل والحوار أحد الركائز الهامة التى ارتكز عليها المجتمع الإسلامى إبان نهضته العلمية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين. فكانـــت مجـــالس المناظرات من أبرز العلامات المميزة للنضج العلمى الذى بلغه آنذاك.

وبالبحث عن أنواع المناظرات وجدنت أنها لم تختص بعلوم معينـــة دون سواها، بل شملت معظم العلوم المعروفة حينذاك، وإن كانت قد أبتـــدأت بعلوم الدين، ثم تطورت إلى مناظرات علمية، وأدبية، وفلسفية، ومنطقية ... وغير ذلك مما قد أتينا على ذكره كل فى موضعه.

الفصل الرابع: نتائج الدراسة:وفيه حاولت استخلاص النتائج العامـــة من الدراسة، وذلك كاجابة للتساؤل الرئيس الذى صدر مقدمتها.

الفصل الأول

حركة الترجمة وانفتاح المسلمين على علوم ومعارف الأمم الأخرى



مدخـــل:

أغلق الأمبراطور "جوستنيان" مدرسة الإسكندرية فى أوائل القــرن السادس الميلادي ، واضطهد العلماء والفلاسفة ، ففروا من الإسكندرية الـــى "الرها" و"تصيبين" و"أنطاكية" و"جنديسابور" وغيرها من المدن الواقعة بـــين بلاد الشام وبلاد فارس والعراق، وهناك شكلوا جماعات ومـــدارس علميـــة تحولت فيما بعد الى أكاديميات كما هو الحال فى أكاديمية جنديسابور.

وبعد مجيئ الإسلام انفتح المسلمون فى عصرهم الأول على مدينـــة جنديسابور باعتبارها مجمعاً علمياً وطبياً مهماً، كما انفتحوا على الإسكندرسة وكانت مركزاً علمياً وطبياً مرموقاً . ومن هنا وهناك جاءت عوامل وأسباب التطور[1] عن طريق حركة الترجمة والنقل ، حيث أقدم السريان على عملية نقل المؤلفات والمخطوطات اليونانية التى انتقلت الى الإسكندرية فى عصرها الذهبى، والمؤلفات التى وضعها علماء الإسكندرية، من خلال عملية منظمـــة للترجمة تمت فى المجامع السريانية من اللغة اليونانية الى السريانية.

وكانت هذه الخطوة بمثابة المجرى الحيوي والضروري الذى وصل العالم القديم (ما قبل الإسلام) بالعالم الحديث (الذى ظهر بعد الإسلام).

وما أن أنطلق العرب شـــرقاً وغربـــاً لنـــشر الـــدعوة الإســـلامية، حتى تكامل مع هذه الإنطلاقة توجه أكيد الى علـــوم الـــحضارات القديمـــة، فكان أن أنطلقت أكبر حركة علمية للترجمة فى العـــالم الإســـلامي، حيـــث تكاتفت من خلالها أجنـــاس مختلفـــة (الـــسريان، والمـــسيحيون، واليهـــود، والصابئة) جنبا الى جنب مع الفرس والمسلمين .

---

(1) ماهر عبد القادر محمد، دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991 ، ص 53.

ولكن قد يتبادر الى الأذهان تساؤل مضمونة : هل يعد النقل فى تلك الفترة هو بداية اتصال المسلمين بثقافات وعلوم الحضارات القديمة؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل ونعرف أبعاده المعرفية ، قد يكـــون من الضرورى أن نلقى الضوء على الموقف العلمى الذى وجده المـــسلمون وقت دخولهم فى الميدان العلمى كنوع من السباق الحـــضارى ، ولتأســـيس حضارة جديدة تعتمد على العلم بقدر ما تعتمد على الدين .

إن انتشار المسيحية فى الأديرة الموجودة فى شبه الجزيرة العربيـــة، وكذلك فى المناطق القريبة من شبه الجزيرة العربية فـــى شـــمال العـــراق وجنوب بلاد فارس ، وما كان يقوم حولها من جدل فلـــسفى يمـــس صـــميم العقائد، وانتقال مدارس الفلسفة الى فارس القديمة ، ثم فتح العـــرب لفـــارس والشام، كل هذا هيأ نوعاً من الاتصال المباشر بين العـــرب وبـــين ثقافـــات البلدان التى فتحوها قبل عصر الترجمة الرسمي بفتـــرة طويلـــة. إذ اتـــصل العرب بالرهبان فى الأديرة واستمعوا الى مناقشاتهم، وتأثروا بما فى حياتهم من زهد وتقشف ، وكان لذلك أثره الواضح على حركة الزهـــد والتـــصوف الإسلامي ، وبصفة خاصة فى الفترة الأولى التى تعـــرف بفتـــرة الزهـــد ، وذلك قبل عصر الترجمة. [1]

أما حركة الترجمة نفسها فقد بدأت أيضاً فى وقت مبكر ودلالة ذلـــك ما يذكره ابن جلجل[2] من أن الطبيب اليهودى "ماسرجويه" قد ترجم للخليفـــة عمر بن عبد العزيز كُناش "أهرن القس" من السريانية الى العربية.

---

(1) محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ص 73- 74.

(2) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، طبعة المعهد العلمـــى الفرنـــسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1955 ، ص 61.

ويذكر أيضا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد وجد هذا الكنّاش فى خزائن الكتب . وهذا دليل على قدم حركة الترجمة والاهتمام بالعلم، والـذى تمثل فى وجود خزانات للكتب فى صدر الدولة الإسلامية .

وترجع بعض الكتابات القديمة والحديثة أيضاً مسألة نقل علوم وثقافات الحضارات القديمة الى العرب للإسهامات التى قام بها الأمير الأموى خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ / 704 م) الذى فقد أمله فى الخلافة، فتحول الى علوم الصنعة، إذ يذكر صاحب الفهرست [1] أن "خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا فى نفسه، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة الى لغة " .

وفى المؤلف الذى عُنى بإخراجه الأساتذة هولت ولامبتون وبرنارد لويس " نجد أن التصور الغربى يتفق مع رؤية ابن النديم حول ما ذكره عن خالد بن يزيد واهتمامه بحركة نقل العلوم. وفى هذا يتفقون مع ما يذكره ابن النديم فى قوله الذى يقرر فيه: "وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتم النقل فيها فى تاريخ الإسلام ". ولكن هذا التأكيد يأت[1]ى مواكباً للأتصالات التى قام بها خالد فى محيط البيئة الجديد . ومن هذا أنه إذا كان قد أهتم بترجمة العلوم فإنه " يجب أن يكون قد تعلم الكيمياء فى الإسكندرية على يد مريانوس الذى كان بدوره تلميذا للكميائي السكندري ستيفانوس".[2]

---

(1) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة القاهرة القديمة 1348 هـ ، ص 338 .

(2) Holt, p.M. & Iambton , A. K.S & LEWIS, B., (ed) the Cambridge history of Islam,VOL.2B,Cambridge Universty press, London,1970,p 774.

لكن مع بداية القرن الثانى الهجرى أخذت حركة الترجمة شكلاً شبه منتظم، ولم تقتصر على نقل علوم اليونان ، بل أقبل المترجمون على النقل من أمم أخرى لاسيما الفرس. فبعد أن نقلت الكتب الكيميائية من اليونانية الى العربية ، تم " نقل الديوان ، وكان باللغة الفارسية الى العربية فى أيام الحجاج. والذى نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم"[1].

وفى أيام الرشيد (170 - 193 هـ / 786 - 808 م) أقبل العرب على الترجمة ، حتى إذا جاء عهد المأمون (981- 218 هـ/813 -338م) كانت هذه الحركة قد بلغت ذروتها. حيث ازدادت الترجمة عن اليونانية ازدياداً عظيماً ، وتم لها الأنتقال من الترجمة الحرفية التى تمتلئ بالعثرات والصعوبات اللفظية الى الترجمة النصية بالمعنى الدقيق .

وهذا هو السر فى أننا نجد كثيراً فى ترجمات المترجمين إعادة لترجمة هذا الكتاب أو ذاك مما ترجمه الحجاج بن مطر من مترجمي العصر العباسي الأول[2].

---

(1) الفهرست ، ص 338. ويذكر الطبرى فى تاريخه أن تدوين الدواوين كان فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، إذ من تحليله للروايات التاريخية المختلفة ينتهى الى أنه أول من دون للناس فى الإسلام الدواوين. إذ أنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين، فقال له على بن أبى طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال، فلا تمسك منه شيئا. وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيراً يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر ، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت من الشام ، فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً، وجندوا جنداً، فدون ديواناً وجند جنداً . فأخذ بقوله (تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، بيروت 1411- 1991 م، جـ 2، ص 570) .

(2) شوقى ضيف ، العصر العباسي الثانى، دار المعارف ، الطبعة الثالثة 1973، ص 131.

وكان الطب من أوائل العلوم التى عنى المترجمون السريان واليعاقبة والنساطرة واليهود بنقلها الى اللغة العربية ، لأن الخلفاء والأمراء كانوا يطلبونها بإلحاح لعلاجهم وتمريضهم .

ولهذا كان أوائل الأطباء من هذه الأجناس التى تصدوا لتعريف العرب بالكتب الطبية، ومنهم حنين بن اسحق، وأبنه اسحق، وماسرجويه، ويوحنا بن ماسويه ، وحبيش بن الأعسم ... وغيرهم مما سيأتى ذكرهم .

وقد توالت ترجمة الكتب غير الطبية فيما بعد ، بعد أن شعر المسلمون بأنهم فى حاجة اليها فى ثقافتهم الإسلامية الجديدة .

فتم ترجمة الأعمال العلمية والفلسفية الموروثة من القدم والتى تمثل من وجهة نظر تاريخ الفكر إحدى العلامات المميزة والأكثر أهمية فى الثقافة العربية الإسلامية[1].

والتساؤل الآن عن الكيفية أو الجسر الذى عبرت عليه ثقافات وعلوم الأمم الأخرى الى العالم الإسلامي ؟

الواقع أن المناطق المجاورة للعالم الإسلامي آنذاك قد لعبت دوراً مهماً فى حركة الترجمة وآثارها على العالم الإسلامي بصفة عامة فيما بعد. فقد كان لمراكز ومعاهد الإسكندرية ونصيبين وقنسرين والمدائن وجند يسابور وحران دور بارز فى نشأة علوم الحضارة الإسلامية، حيث كانت مناطق احتكاك واتصال مباشر بالمنطقة الإسلامية .. وكانت علوم تلك المراكز عصارة عقول الحضارات القديمة من بابليين وآشوريين، وفينيقيين ، ومصريين ، وهنود ، وفرس ، ويونان، وروما ن .

(1) The Cambridge History of Islam, op. Cit, p. 768.

وكانت هناك مدارس فى أديرة تلك المنــاطق وأســمها بالــسريانية "أسكول " المأخوذ من اللفظ اليونانى ، ومنه صنع العرب لفــظ " اســكول " الذى يدل على مدرسة مسيحية ، أو مدرسة ملحقة بدير . والغالبية العظمــى من هذه المدارس كانت لاهوتية دينية . لكن كان يسمح فــى الكثيــر منهــا بدراسة العلوم الدنيوية وهــى النحــو ، والبيــان ، والفلــسفة ، والطــب ، والموسيقى ، والرياضيات ، والفلك .

وقد اقتصر التعليم الفلسفى فى جوهره على بعض أجــزاء المنطــق الأرسططاليسي ، والتعليم الطبي على أمهات مؤلفات ابقراط وجالينوس .

ويظهر أن أهم موضع عنى فيه بالعلوم اليونانية فى مــدارس تلــك الأديرة كان مدرسة دير القديس أفثنيــوس فــى قنــسرين بــسوريا، إلا أن ازدهارها كان فى العصر الإسلامى[1] وعلى سبيل المثال نجــد أن التعــاليم الهيلينية للإسكندرية انتقلت على يد الطوائف المسيحية المتعددة (النــساطرة واليعاقبة أساساً) ، واستمر المسيحيون السوريون فى رعاية الآثار المتبقيــة من التعاليم اليونانية ، ومن خلالهم أصبح العرب – بحــق الفــتح – ورثــة هذا التراث[2].

لكن الجدير بالنظر أن مدارس تلك المراكز المتعددة لم تــستطيع أن تنتج عدداً ملحوظاً من الفلاسفة أو العلماء ذوى المواهب الممتــازة ، أو أن تنتج كتباً وأبحاثاً ذات قيمة خالدة ، وكل ما قدمته هذه المدارس للإنسانية هو

---

(1) ماكس مايرهوف ، من الإسكندرية الى بغداد ، بحث صدر فــى كتــاب: التــراث اليونــاني فى الحضارة الإسلامية : دراسات لكبار المستشرقين ، نشره عبد الــرحمن بــدوى، مكتبــة النهضة المصرية 1940 ، ص 53 – 54.

(2) نيقولا ريشر ، تطور المنطق العربى ، ترجمة محمد مهــران ، دار المعــارف، ط الأولــى 1985 ، ص 128 – 129.

أنها احتفظت ببيئة يدب فيها النشاط العقلى والفكرى .. وبـــذلك فـــإن هـــذه المدارس قدمت البيئة الخصبة التى استطاع المسلمون أن يؤسسوا من خلالها علوماً فلسفية ودينية وطبية ورياضية وغيرها، وأن يحملـــوا منهـــا علومـــاً مزدهرة عميقة الجذور[1] نقلها كثير من المترجمين – خاصـــة الـــسريان – الذين تعلموا وعاشوا فى هذه المراكز .

ونأتى الآن الى تساؤل منهجى آخر مؤداه : ما هى الـــدوافع التـــى دفعت المسلمين فى تلك الفترة بالذات دون غيرها الى " التعرف على " ونقل علوم الأمم الأخرى ؟

نشير هنا أولا الى أننا نستخدم التعبيـــر "التعـــرف علـــى" بـــصورة لا ترادف التعبير "نقل علوم الأمم الأخرى" . إن مسألة التعرف تقتضى الفهم والمعرفة ، والإحاطة بجوانب العلم الذى يتم التعرف عليه ، وإدراك جوانبه، وفهم أبعاده . وهذه عملية معرفية تدخل ضمن إطار الموقف الإبـــستمولوجى بصورة أساسية . فى حين أن " نقل " العلوم قد يتم بصورة آلية علـــى يـــد مترجم ليست له خبرة أو دراية بأكثر من عملية الترجمة ، كما قد يتم علـــى يد مترجم خبير بالموضوع ، ومن ثم فإن النقل يستلزم فى تـــصوره الثـــانى الخبرة بالموضوع ، فى حين أن "التعرف على" موضوع من الموضـــوعات وفهمه لا يستلزم نقله .

ونعود الى التساؤل الذى طرحناه من قبل حيث تكمن إجابته فى نقاط محددة فيما يلي :

---

(1) راجع. SHARIF M . M ، الفكر الإسلامي منابعه وآثاره ، ترجمة أحمد شـــلبى، الطبعـــة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية 1975 ، ص 79 – 80 .

1- لقد واجه المسلمون فى العصر الأول مشكلات لم تكن راجعة الى الإسلام ذاته ، وإنما أثيرت من اليهود والمسيحيين ، وهؤلاء كما نعلم كانوا يتقنون فى الجدل والنقاش ، لاطلاعهم على كتب الفلسفة والمنطق ، والتى لم يكن للمسلمين عهد بها قبل ذلك وكان من بين المشكلات التى اندفع المسلمون الى مناقشتها : القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، وحرية الإرادة[1].

فرجحت عند قوم عقيدة الجبر ، وعند آخرين عقيدة الاختيار ، وتجادل المسلمون فيما بينهم، ثم تجادل المسلمون والنصارى واليهود: أى الأديان خير؟ وأى آراء الأديان فى المسائل الجزئية أصح ؟ وكان المعتزلة يحملون لواء الدفاع عن الإسلام ، ومقارعة خصومه ، وكان من اليهود والنصارى من تسلح من قبل بالمنطق اليوناني ، والفلسفة اليونانية ، ويستخدمها فى أمور الجدل والحوار . فأحس المسلمون أنه لابد من محاربتهم بأسلحتهم ، فعكفوا على المنطق والفلسفة يستخدمونها فى أغراضهم ، وبينما هم كذلك شعروا بلذة عقلية من دراسة الفلسفة ، فبعد أن كانت تطلب على أنها وسيلة للدفاع عن الدين أصبحت غاية فى نفسها تطلب لذاتها[2].

2- كان لتشجيع خلفاء الدولة العباسية لحركة الترجمة الدور البارز فى إنمائها وتقدمها ونجاحها . فلقد مال أفراد من الخلفاء فى العصر العباسي الى العلوم الفلسفية ، والخلفاء عادة أقدر الناس على الترغيب فيما أحبوا .

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، التراث الإسلامي ، العلوم الأساسية ، المركز المصري للدراسات والأبحاث ، الإسكندرية بدون تاريخ ، ص 34.

(2) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربى ، الطبعة العاشرة ، بيروت (د . ت) ، جـ 1 ، ص 265 - 266.

والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضـــهم . وكـــان أكثـــر الخلفـــاء العباسيين ميلاً الى ذلك، المنصور والرشيد والمأمون . فالأول طلب من إمبراطور بيزنطة أن يرسل إليه ما عنده من مخطوطات وكتب يونانيـــة فأرسلها إليه. أما الرشيد فقد رباه البرامكة على حب العلـــم . والمـــأمون رباه الرشيد والبرامكة ، وكان يفضل الكتب العلمية عن الجزية فى البلاد التى يفتحها ، ومن ذلك أنه عندما انتصر على الروم عـــام 215 هـــ / 830 م علم أن اليونان حينما انتشرت النصرانية فى بلادهم قـــد جمعـــوا كتب الفلسفة من المكتبات وألقوا بها فى السراديب ، فطلب المأمون مـــن ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب بدلاً من الغرامة التـــى فرضـــها فقبـــل "ثيوفيلوس" ملك الروم بذلك ، وعده كسباً كبيراً له . أما المأمون فعد ذلك نعمة عظيمة عليه.

وقد حذا حذو الخلفاء كثير من أفراد الأسر النبيلة مثل بنى موسى بن شاكر. وسيأتى ذكرهم .

هناك أيضاً خلفية تاريخية دفعت العباسيين الى الاهتمام بهذه المسألة، فالدولة العباسية ، وإن كانت عربية الأصل ترجع أصولها الى العباس عـــم النبى ﷺ ، إلا أنها قد اشتملت على عناصر أخرى غير عربيـــة، لا ســـيما العنصر الفارسي . وكان للفرس ثقافة قديمة ، الأمر الذى كان له أثره فـــى إقبال العباسيين على العلم والاستزادة منه ، فبذلوا كل ما فى وسعهم لتشجيع العلماء والمفكرين ، لنقل الثقافات الأجنبية فى ميادين الأدب ، والـــسياسة ، والطب ، والفلسفة ، والعلوم الطبيعية ، والفلك.

كذلك فإن العباسيين لم يهتموا كثيرا بجنسية المترجم ، وإنما كـــانوا يسألونه الدقة ، لأن الغرض الأساسي هو الحصول على المعرفة والعلم [1].

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق ، العصر الذهبى للترجمة ص 27.

تلك كانت أهم الدوافع والأسباب التي دفعت المسلمين الى الإقبال على ترجمة علوم الأمم الأخرى . وهى على ما نرى دوافع وأسباب منطقية يقبلها العقل ، وتختلف عما ورد فى بعض كتب التراث من أسباب ودوافع بعيدة عن العقل والمنطق فضلاً عن السياق التاريخي للأحداث[1].

ولقد نشطت حركة الترجمة نشاطاً ملحوظاً فى العصر العباسي الثانى، فكانت واسعة النطاق وشملت ما أنتجه الأقدمون من فلسفة وعلم ؛ ولم يمض زمن طويل على تأسيس بغداد حتى كان العرب يقرأون بلغتهم معظم ما كتبه أرسطو، وما نسب إليه، ككتاب علم المعادن واستخراجها، والميكانيكا، والإلهيات. كما كان العرب يقرأون بلغتهم أكثر مؤلفات افلاطون، والأفلاطونية الحديثة، وأهم ما كتب أبقراط، وجالينوس، وإقليدس، وبطليموس وغيرهم من الكتاب والشراح ، ولم يقفوا عند علوم اليونان، بل تجاوزها الى الترجمة من الفارسية والهندية[2]. ولكن السؤال الآن هو: كيف تعرف المسلمون على علوم الحضارات الأخرى؟ وما هى الصورة التى ارتسمت فى أذهانهم عن تلك العلوم ، أو ما عرف باسم علوم الأوائل ؟

---

(1) جاء فى فهرست ابن النديم ، وأخبار القفطى ، وعيون ابن أصبيعة ، وتلويحات السهروردي.. وغيرهم : أن الذى دفع المأمون الى ترجمة كتب الحكمة هو رؤيته لأرسطو فى منامه ، فسأله المأمون قائلاً : ما الحسن ؟ فقال أرسطو: ما حسن عند العقل. قال المأمون: ثم ماذا ؟ قال : ما حسن فى الشرع . قال : ثم ماذا؟ قال أرسطو : ما حسن عند الجمهور. فمثل هذه الرواية إن صحت فإنها لا تعبر إلا عن حب وشغف المامون بالعلم . ولا يصح أن تكون أحد أسباب حركة الترجمة ، إذ أن هذه الحركة قد بدأت قبل عصر المأمون ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الرواية قد اشتملت على الفاظ معتزلية بالدرجة الأولى مثل " الحسن " الذى يقابله " القبح " ، وهما إحدى مبادئ المعتزلة الرئيسة. ومن ذلك نرجح أن تكون هذه الرواية من قبيل التلفيقات التى اصطنعت لتأييد مذهب الأعتزال الذى آمن به المأمون وجعله مذهبا رسميا للدولة . ومع ذلك ربما يكون حلم المأمون بمثابة الإذن الرسمي لحركة الترجمة .

(2) SHARIF M . M ، الفكر الإسلامي ، منابعه وآثاره ، م. س، ص 84 – 85.

1ـ علـــوم اليونــــــان

يمكن التعرف بصورة موجزة على علوم اليونان التى نقلت الى العالم الإسلامي من خلال الإشارة الى دور السريان فى حركة الترجمة ، ثم يـــأتى ذكرها ثانية بصورة تلقائية عند الحديث عن أبرز أعلام التراجمة فيما سيأتى:

لقد كان للسريان دور واضح وملموس باعتبارهم حلقة من حلقـــات السلسلة التى انتقل عبرها التراث مـــن اليونـــان القديمـــة الـــى المـــسلمين، فقد قاموا بترجمة كثير من الكتب والمؤلفات الهامة من اليونانية. ونحن نعلم أن المجامع العلمية والفكرية التى تكونت فى مناطق الاتصال بين المـــسلمين واليونانيين كانت بحاجة الى جو من التسامح الفكرى والعلمى بعد ما تعرض له العلماء والمفكرون من اضطهاد فى ظل الحكم الرومانى، وكـــان الـــدين الإسلامي الجديد يدعو للتسامح وحرية ممارسة الفكـــر والبحـــث العلمـــى ، فمارس العلماء والمفكرون حريتهم الفكرية كما يشاؤون ولم يتعرضوا لأنواع الاضطهاد والتنكيل كما حدث من جانب الرومانيين[1].

وقد وجه السريان عنايتهم الى مؤلفى الرياضيات والفلك والطب من اليونان ، كما وجهت عنايتهم بالمثل الى الفلاسفة اليونانيين. وكانـــت هـــذه الفروع من التعاليم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدراسات اللاهوتية، ذلك لأن العلم والفلسفة اليونانيين قد قدما التعليل التصورى العقلى ، حيث وجد فيه لاهوت هذه الكنائس صياغته الواضحة . وكان الطب على وجه الخصوص بمثابـــة جسر بين العلوم واللاهوت، وكان كثير من اللاهوتيين المسيحيين الـــسريان قد تم إعدادهم على أنهم أطباء بدن وأطباء روح بالمثل. وقد كـــان المنطـــق جزءا لا يتجزأ من منهاج تعليم الدراسات الطبية، كمـــا كـــان ســـائداً فـــى الإسكندرية بنفس الطريقة التى أوصى بها جالينوس[2].

---

(1) ماهر عبد القادر محمد، حنين بن اسحق، العصر الذهبى للترجمة ،م.س، ص26.

(2) نيقولا ريشر ، تطور المنطق العربى ، م . س ، ص 129 – 130.

ومن النقلة السريان يذكر ابن النديم[1] أسماء كثيرة كان أبرزهم على الإطلاق حنين بن اسحق الذى شكل جماعة ومدرسة علمية ضمت ابنه اسحق بن حنين ، وابن أخته حبيش بن الأعسم .. وغيرهم من عشرات التراجمة ، فكان لهذه المدرسة الفضل فى نقل الكثير من علـوم اليونـان الـى العـالم الإسلامى. – وسوف نتعرض لبنية تلك المدرسة بعد قليل– . ومنهم أيـضا ثابت بن قرة الحرانى ، وعيسى بن يحيى، وأبو عثمان الدمشقى ، وإبراهيم بن أبى الصلت ، ويحيى بن عدى التفليسى ، وأيوب بن أبى القاسم الذى نقل من السريانى الى العربى، ومن نقله ، كتاب إيساغوجى . ومنهم دار يشوع، كان يفسر لإسحق بن سليمان الهاشمي من السريانية الى العربيـة. ومـنهم قسطا بن لوقا البعلبكى، جيد النقل فصيح باللسان اليونانى والسريانى والعربى معاً، وقد نقل أشياء، وأصلح نقولات كثيرة .

ومما هو جدير بالملاحظة أنه بالرغم من أن أعمال الترجمة قد تـم معظمها على يد المسيحيين السريان ، إلا أن عددا كبيراً من الترجمات قـد كان من الإغريقية مباشرة على يد قوم درسوا هذه اللغة فـى الإسـكندرية ، أو بلاد الأغريق . وكثيراً ما وضع المترجم نفسه ترجمتين من الأغريقيـة: إحداهما بالسريانية ، والأخرى بالعربية .

وكان ثمة مترجمون من السريانية ، ولكن هؤلاء يأتون عـادة بعـد المترجمين من الإغريقية . ومن بين المترجمين النساطرة من السريانية أبـو بشر متى بن يونس (ت 338 هـ/949 م) والذى ترجم الى العربية القيـاس والشعر لأرسطو، وتعليقات الإسكندر الأفروديسي على الكـون والفـساد ، وتعليق ثامسطيوس على الكتاب الثلاثين من الميتافيزيقا، وكلها ترجمت مـن نسخ سريانية موجودة ، ولقد وضع كذلك تعليقات أصـلية علـى مقـولات

---

(1) الفهرست ص 341.

أرسطو، وعلى إيساغوجي وفورفوريوس[1]. أمـــا المترجمـــون اليعاقبـــة[2] فيأتون بعد النساطرة ، ومن بين الذين ترجموا منهم من السريانية الى العربية يحيى بن عدى التكريتى المتوفى عام 364 هـــ/ 974 م . فقد راجع كثيـــراً من الترجمات الموجودة ووضع ترجمات للمقـــولات والسفـــسطة والـــشعر والميتافيزيقا لأرسطو . كما ترجم لأفلاطون القوانين وتيمـــاوس ، وكـــذلك تعليقات الإسكندر الأفروديسي على المقولات ، وتعليقات ثيوفراسطوس على الأخلاق . أما اليعقوبى أبو على عيسى ين زرعة المتوفى عام 398 هـــــ / 1007 م ، فقد ترجم المقولات والتاريخ الطبيعي وأعضاء الحيوان مع تعليق يوحنا فيلوبونوس، أو يحيى النحوى .

ومع أن السريان (نساطرة ويعاقبة) قد بـــذلوا مجهـــودا ضـــخماً فى ترجمة العلوم اليونانية الى العربية ، إلا أنهم قد نـــسبوا الـــى أرســـطو وأفلاطون كتبا كثيرة ، ونقلت الى العرب بهذه النسبة الخاطئة ، مثل كتـــاب الربوبية المنسوب خطأ الى أرسطو ومحوره بحوث فى الـــنفس والإنـــسان تمزج بقصص كثيرة وبقواعد من السياسة والصحة والتغذية . على أن كثيراً مما نسبوه إليه صحيح وخاصة مـــا يتـــصل بالطـــب والحيـــوان والعلـــوم الطبيعية[3]. كما أن ترجماتهم كان يشوبها الضعف والخروج علـــى قواعـــد اللغة العربية فى كثير من الأحيان . مما جعل مراجعة هذه الترجمات التـــى تمت على يد السريان فى حاجة الى مراجعة على يد مفكـــرين ومتـــرجمين عرب ، وغير عرب ، وكان الكندى مشرفاً على كثير من الترجمات .

---

(1) دلاسي أوليرى ، الفكر العربى ومكانته فى التاريخ ، ترجمة تمام حسان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة بدون تاريخ ص 128.

(2) نفس المرجع ، ص 129.

(3) شوقى ضيف ، العصر العباسي ، م . س ، ص 130 – 131.

اهتم العرب اهتماماً كبيراً بنقل وترجمة المؤلفات الطبية اليونانيــة، وخاصة مؤلفات أبقراط وجــالينوس، والإســكندروس، وروفــس الإفــسى وديسقوريدس .. وغيرهم.

فعرف العرب والمسلمين مــن مؤلفــات أبقــراط، وعــدوا منهــا ثلاثين أصــلاً، والتــى أوصــوا بدراســته لمــن يقــرأ صــناعة الطــب اثنى عشر كتاباً، أطلق عليها مؤرخوا تاريخ الطب "المجموعــة الأبقراطيــة Corpus hippocraticum" وكان لهذه المجموعة شأن كبير عنــد أطبــاء العرب، فترجموا معظمها مع تفسير جالينوس لها فى الغالــب إمــا ترجمــة مباشرة إلى العربية، أو بواسطة السريانية، يقول ابن أبى أصيبعة[1]: والذى انتهى إلينا ذكره ووجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكوّن نحو ثلاثين كتاباً، والذى يدرس كتبه لمن يقرأ صناعة الطب إذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيد، اثنا عشر كتاباً، وهى المشهورة من سائر كتبه، وهى[2]: كتاب الأجنة "On the foelus"، كتاب طبيعة الإنسان"On the nature of Man" كتاب الأهوية والمياه والبلــدان[3]"On airs, water and places" كتــاب الفصول، كتاب تقدمــه المعرفــة "The boo of progsnostics"، كتــاب الأمراض الحادة "Regimen in acute diseases"، كتاب أوجاع النــساء، كتاب الأمراض الوافدة ويسمى ابيديميا"on the epidemics"، كتاب الأخلاط "on the humours"، كتاب الغذاء"on the nutriment"،كتاب قاطيطريون، أى حانوت (مكان) الطبيب "The physician's Establishment"،كتــاب الكسر والجبر"on fractures".

---

(1)عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص45.

(2) نشره شبلى شميل سنة 1884 بالقاهرة.

(3) خالد حربى، دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تــراث الحــضارة اليونانيــة (1) أبقــراط، إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقود، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009، ص10.

بيد أن أشهر رسائل أبقراط على بكرة أبيها، هى قسمه المشهور الذى ظل رمزاً للأخلاق الطبية الراقية وارتفاعها عن الاندماج فى الشبهات التجارية، فأصبح هذا القسم أهم وثيقة طبية خلدت على مدى العصور حتى غدت دستوراً يقرن الطب بالأخلاق. وقد سمى العرب هذا القسم "عهد أبقراط" وترجمه حنين بن اسحق، وعرفه العالم الإسلامى ممتزجاً بالروح الإسلامى، بعد أن حذف منه بعض التعبيرات الوثنية.

أما كتب جالينوس، فهى بحسب الفهرست نحو ثمانية وخمسين كتاباً عدا الكتب الستة عشر المشهورة التى كانت تقرأ على الولاء فى مدرس الإسكندرية، حيث ذكر ابن أبى أصيبعة أن المختار بن بطلان قال: "إن الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة هم: إصطفن، وجاسيوس، وتادريوس، وأكسيلاوس، وانقيلاوس، ويحيى النحوى ..." وكان هؤلاء الإسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس فى موضع تعلم الطب بالإسكندرية، وكانوا يقرأونها على الترتيب، ويجتمعون فى كل يوم على قراءة شيىء منها وتفهمه، ثم صرفوها إلى الجمل والجوامع ليسهل حفظهم لها ومعرفتهم إياها، ثم انفرد كل واحد منهم بتفسير الستة عشر[1].

ويذكر أبو الحسن على بن رضوان فى كتابه "المنافع فى كيفية تعلم صناعة الطب، أن الإسكندرانيين قد اقتصروا على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس فى التعليم، ليكون المشتغل بها إن كانت له قريحة جيدة، وهمة حسنة، وحرص على التعليم، فإنه إذا نظر فى هذه الكتب اشتاقت نفسه

(1) خالد حربى، دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) جالينوس، إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة، ط. الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009، ص9.

بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس فى الطب، إلى أن ينظر فى باقى ما يجد من كتبه".

وقد ترجمت معظم كتب جالينوس إلى العربية، فقد كان (أى جالينوس) أحب الأطباء اليونانيين إلى العرب، ومن أشهر تراجمته: حنين بن اسحق، وحبيش الأعسم، وعيسى بن يحيى، وإصطفن بن بسيل.

لقد سيطر منهج جالينوس على مدرسة الإسكندرية الطبية بمصر حتى أن الإسكندرانيين انتخبوا من كتبه ستة عشر كتاباً كانت تقرأ على الولاء لمن أراد أن يتعلم صناعة الطب، وذلك بعد مرحلة تحضيرية أو إعدادية تشتمل على دراسة أربعة أجزاء من كتاب المنطق لأرسطو، المقولات، والقياس، والبرهان، والخطابة، وأربعة كتب من مؤلفات أبقراط، هى الفصول، وتقدمه المعرفة، والأهوية والبلدان والمياه، والأمراض الحادة. أما كتب جالينوس الستة عشر فقد وضعت فى سبع مراتب تعليمية، يتوالى الطالب فى تعلمها كما يلى:

المرتبة الأولى: كتاب الفرق – كتاب الصناعة الصغير – كتاب النبض الصغير – كتاب إلى أغلوقن.

المرتبة الثانية: كتاب الاستقصات – كتاب المزاج – كتاب القوى الطبيعية – كتاب علاج التشريح، ويعرف بالتشريح الكبير.

المرتبة الثالثة: كتاب العلل والأعراض.

المرتبة الرابعة: كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة – كتاب النبض الكبير.

المرتبة الخامسة: كتاب الحميات – كتاب البحران – كتاب أيام البحران.

المرتبة السادسة: كتاب حيلة البرء.

المرتبة السابعة: كتاب الحيلة لحفظ الصحة.

يلاحظ فى هذه المراتب التعليمية السبع، والكتب المقررة فيها، تدرجها بالمتعلم، فالمرتبة الأولى تعد بمثابة تمهيد نظرى، أو مدخل عام لدراسة الطب. والثانية يدرس فيها المتعلم الأمور الطبيعية كالاستقصات (النار والهواء والماء والتراب)، وما يتصل بالجسم البشرى من عوامل التغير كالاخلاط (الدم والبلغم والمرتين الصفراء والسوداء) والمزاج. وينتقل المتعلم فى المرتبة الثالثة إلى دراسة العلل وأسبابها وأعراضها، لينتقل منها إلى المرتبة الرابعة كى يقف على علامات وأعراض الأمراض فى الأعضاء الباطنية، ويعدها يكون مهيئاً للانتقال إلى المرتبة الخامسة لدراسة الحميات، وأسبابها وأعراضها، وأوقات نوباتها، ثم ينتقل المتعلم بعد اجتيازه للمراتب الخمس السالفة إلى المرتبة السادسة وفيها يتعلم قوانين العلاج، ويختم دراسته بتعلم حفظ الصحة على الأصحاء فى المرتبة السابعة والأخيرة.[1]

لا يكاد يخلو مصدر من مصادر تاريخ العلم العربى من بيان أثر جالينوس وأهميته وكتاباته وترجماتها وتأثيرها والردود عليها والرد على هذه الردود ... فعلم جالينوس يسرى فى الثقافة العربية ويمثل مصدراً من مصادر تكوين العقل العلمى العربى، فقد ترجم العرب ودرسوا وفسروا كتبه وناقشوا وأضافوا وعدلوا وانتقدوا، ودخلوا فى حوار طويل على امتداد عدة قرون مع كتابات جالينوس، بل ومازال يشغل الباحثين حتى اليوم.

---

(1) خالد حربى، دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) جالينوس، م. س، ص11.

وقد ذكر المؤرخون فى تاريخ الطب كثيراً من مؤلفات جـالينوس، منها ما هو حقيقى، ومنها ما هو منسوب إليه، وبعض هذه المؤلفات وصـل إلينا عبر الترجمات من اليونانية إلى العربية، أو من اليونانية إلـى العربيـة عبر السريانية، والبعض الآخر لم يصل.

ومن أهم مظاهر تميز الحضارة الإسلامية، تدوين الموسوعات، وتعد موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى أول وأضـخم وأهم موسوعة طبية فى تاريخ الطب العربى الإسلامى، بل ربما فى تـاريخ الطب الإنسانى كله. وتحتوى موسوعة الحاوى على مؤلفات من الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية، ومن بين هذه المؤلفات، مؤلفات جالينوس.

2ـ علـوم الفـرس:

كان للفرس – من قديم – علم وأدب يتناسبان مع ضـخامة ملكهـم وعظمة سلطانهم. كان لهم كتب فى التنجيم والهندسة والجغرافيـا، وكانـت تتوالى عليهم نكبات تذهب بكثير من كتبهم. ولكن كانت مدينتهم فـى حيـاة وعظمة ؛ إذ كانت تسترد مجدها بتأليف كتـب جديـدة تـساير عظمـتهم. وأكبر نكبة عرتهم كانت بفتح الإسكندر الأكبر لبلادهم، وقد تلف فـى هـذا الحرب كثير من خزائن كتبهم. فلما جاءت الدولة الـساسانية (226–652م) استعادوا أدبهم وعلمهم .

وأظهر ملوكهم فى الميل الى العلم ، وتـشجيع الترجمـة والتـأليف أردشير بابك (226 – 241 م) فقد بعث فى طلب الكتب من الهند والـروم والصين . كذلك كان الشأن فى عهد ابنه سابور ، وعهد كسرى أنوشروان .. فلما جاءت الدولة العباسية – وكثير من رعاياها فرس – أخذ المثقفون ينقلون

الى العربية تراث آبائهم وما حفظته العصور الى عهدهم[1]. ومن المـؤلفين الفرس: يزدجرد بن مهندان الكسروى فى أيام المعتضد ، وله مـن الكتـب كتاب فضائل بغداد وصفتها، كتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة[2].

ومن القصاص موسى الأسوارى وكان من أعاجيب الـدنيا، كانـت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فـى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية مـن كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأى لسان هو أبين. واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيْمَ على صاحبتها ، إلا ما ذكـروا مـن لـسان "موسى بن سيار الأسوارى . ولم يكن فى هذه الأمة بعد أبى موسى الأشعرى أقرأ فى محراب من موسى بن سيار"[3] .

ومن أشهر تراجمة الفرس ، عبد الله بن المقفع[4] كـان فـى نهايـة الفصاحة والبلاغة كاتباً وشاعراً فصيحاً . وكان أحـد النقلـة مـن اللـسان الفارسي الى العربي ، مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهمـا[5] . ألفاظـه حكيمـة ومقاصده من الخلل سليمة. وهو أول من أعتنى فى الملة الإسلامية بترجمـة

---

(1) أحمد أمين ، ضحى الإسلام 1 / 176.

(2) ابن النديم ، الفهرست 185.

(3) الجاحظ ، البيان والتبيـين ، تحقيـق فـوزى عطـوى ، طبعـة بيـروت بـدون تـاريخ جـ 1 ، ص 193.

(4) اسمه بالفارسية روزبه ، ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو ، فلما أسلم اكتنى بأبى محمد ، والمقفع بن المبارك ، وإنما تقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه بالبصره فى مال احتجنـه مـن مـال السلطان ضرباً مبرحاً فتقفعت يده ، وأصله من حوز مدينة من كور فاس (الفهرست 172) .
وتوفى عبد الله بن المقفع فيما بين أعوام 142 - 145 هـ / 759 - 762 م.

(5) ابن النديم ، الفهرست 172.

الكتب المنطقية لأبى جعفر المنصور. كما ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة، وهى : كتاب قاطيغورياس ، وكتاب بارى أرمنياس ، وكتاب أنـــالو طيقا . وترجم مع ذلك الكتاب الهندى المعـــروف بكتـــاب كليلـــة ودمنـــة . وله تآليف حسنة منها : رسالته فى الآداب والسياسة . ورســالته المعروفــة باليتيمة فى طاعة السلطان[1] .

وترجم أيضا كتاب خدينامة فى السير (تاريخ ملوك الفرس). كتـــاب آيين نامة (العرف والعادات والنظم والشرائع) . كتاب مزدك (سيرة مزدك). كتاب التاج فى سيرة أنوشروان، كتاب الآداب الكبيــر ويُعــرف بمــا قــرأ حسيس. كتاب الأدب الصغير.كتاب اليتيمة فى الرسائل[2].

ومنهم الفضل بن نوبخت ، أبو سهل الفارسي كان فى زمن الرشــيد وولاه خزانة كتب الحكمة. وكان ينقل من الفارسى الى العربى مــا يجــده من كتب الحكمة الفارسية. وله من التصانيف: كتاب البهطمان فى المواليــد. كتاب الفأل النجومى. كتاب المواليد مفرد. كتاب التــشبيه والتمثيــل كتــاب المنتحل من أقاويل المنجمين فى الأخبار والمسائل والمواليد وغيرها[3].

وقد نقل المترجمون كتباً أخرى عديدة من الفارسية الـــى العربيـــة، فقد ترجم جبلة بن سالم "كتاب رستم واسفنديار"، و "كتـــاب بهـــرام شـــوس" وهما فى السير . وترجم من الكتب الدينية كتاب زاردشت المسمى "أفيـــستا" وما عليه من شروح . وكتاب "هزار أفسانه" ومعناه ألف خرافة، وهو أصل من أصول " ألف ليلة وليلة " ، وغيره كثير من كتـــب القـــصص ككتـــاب بوسفاس، وكُتاب خرافة ونزهة، وكتاب الدُب والثعلب، وكتاب روزبه اليتيم ،

---

(1) القفطى، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة القاهرة 1326هـ، ص148-149.

(2) ابن النديم ، الفهرست 172.

(3) القفطى ، المرجع السابق ، ص 168 - 169.

وكتاب تمرود[1]، وكتاب كناش تيادورس ، وكتب تياذوق متطبب الحجاج بن يوسف[2] وهى كناش كبير ألفه لأبنه ، وكتاب أبدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها وشئ من تفسير أسماء الأدوية[3].

ولا شك أن " البرامكة " أصحاب الوزارة فى الدولة العباسية لعبوا دوراً هاماً فى نشر الثقافة الفارسية. ويذكر ابن النديم عند حديثه عن كتاب "المجسطى" فى الفلك أن أول من أهتم بنقله، وترجمته "يحيى بن خالد البرمكى " الذى ندب لترجمته وتفسيره أبا حسان وسلمان صاحب بيت الحكمة فاتقنا ترجمته وتصحيحه.

وبالإضافة الى ما ذكر يورد ابن النديم[4] ثبتا بأسماء النقلة من الفارسي الى العربي متضمنا موسى ويوسف ابنى خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله وينقلان له من الفارسية الى العربية . التميمي واسمه على بن زياد ، ومما نقله زيج الشهريار . الحسن بن سهل البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر. إسحق بن يزيد ومما نقله كتاب سيرة الفرس المعروف باخيار نامه. محمد بن الجهم البرمكى. هشام بن القاسم. موسى بن عيسى الكردى. زادويه بن شاهويه الأصفهانى. محمد بن بهرام مطيار الأصفهانى. بهرام بن مردان شاه . عمر بن الفرخان.

---

(1) أحمد أمين ، ضحى الإسلام 179/1.

(2) ابن النديم ، الفهرست 422.

(3) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار ، بيروت (د . ت) ، ص 181.

(4) الفهرست 342.

وقد امتازت معظم الترجمات من الفارسية الى العربية بأن المترجم كان يتحرى الدقة أولا فى الوقوف على أدقّ وأصح نص للكتاب الذى يترجمه، فكان يجمع أكبر قدر من نسخ الكتاب ، ثم يقابل بعضها ببعض ، وذلك حتى يتحاشى الأخطاء المختلفة للنساخ فى معظم النسخ . وبعد أن ينتهى من عملية المقابلة ويضع يده على أقرب نص أراده صاحبه، يبدأ فى عملية الترجمة .

يذكر البيرونى[1] أن أبا على محمد بن أحمد البلخى الشاعر قد صحح كتاب الشاهنامه من كتاب سير الملوك الذى لعبد الله بن المقفع ، والذى لمحمد بن الجهم البرمكى، والذى لهشام ابن القاسم ، والذى لبهرام بن مردانشاه ، والذى لبهرام بن مهران الأصبهانى، ثم قابل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسي .

ويقول حمزة الأصفهانى فى كتابه " تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء " عن تواريخ الفرس : كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان الى لسان ومن خط متشابه رقوم الأعداد الى خط متشابه رقوم العقود ، فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا الى جمع النسخ المختلفة النقل . فاتفق لى ثمانى نسخ وهى : كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى ، وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الأصفهانى، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهانى، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم

---

(1) البيرونى ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، طبعة مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ ، ص 99.

الأصبهانى، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب(1).

وروى حمزة الأصفهانى أيضاً عن برهام بن مردانشاه أنه قال : إنى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى نامة حتى أصلحت منها تواريخ ملوك الفرس من لدن كيومرت والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك منهم الى العرب(2).

يتضح مما سبق أن حركة النقل من الفارسية الى العربية قد نشطت نشاطا ملحوظاً، ونُقل على أثرها معظم علوم الفرس المعروفة آنذاك .

ولكن هل كان لهذه الحركة من أثر على المجتمع العلمى الإسلامي فى ذلك الوقت بصفة خاصة ، وعلى الحضارة الإسلامية بصفة عامة ؟

الواقع أن حركة الترجمة من الفارسية الى العربية قد أثرت تأثيراً بليغاً فى المجتمع العلمي الإسلامى ، والحضارة الإسلامية بصفة عامة . فقد كان هناك قوم أتقنوا اللغة الفارسية والعربية معاً ، فعكفوا على قراءة الكتب الفارسية يتثقفون بها ، ويرقون أفكارهم وعقولهم ، ثم هم يخرجون باللغة العربية أدباً وشعراً وعلماً ، وليس ما يخرجونه نقلاً تاماً لكلام فارسي ، ولكنه منبعث عنه ومتولد منه . وهؤلاء الفرس الذين تعَّربوا ، وهؤلاء العرب الذين أخذوا بحظ من الثقافة الفارسية ، ملأوا الدنيا فى العصر العباسي علماً وحكمة وشعراً ونثراً ، فيها العنصر الفارسي واضح جليّ . ومن حظ العربية وقتذاك أنها سادت اللغة الفارسية وغلبتها على أمرها ،

(1) أبو القاسم الفردوسي، الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن على البندارى، تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية 1993، جـ 1، ص 33 - 34.

(2) الشاهنامه ، ص 32 - 33.

فكان من نتاج العقول الفارسية الراجحة إنما هو باللغة العربية لا الفارسية، شعر الشاعر منهم عربى كبشار ، وأدب الأديب منهم عربى كإبن المقفع، وتأليف المؤلف منهم عربى كإبن المقفع وابن قتيبة والطبرى ... الخ(1).

ومن آثار الفارسية فى العربية أن كلمة " زندقة " أصلها فارسي . يقول المسعودى(2): إن الفرس حين أتاهم زاردشت بن اسبيمان بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية ، عمل له التفسير ، وهو الزند ، وعمل لهذا التفسير شرحاً سماه البازند ، وكان بياناً لتأويل المتقدم المنزل. وكان من أورد فى شرعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذى هو البستاه، وعدل الى التأويل الذى هو الزند ، قالوا : هذا زندى ، فأضافوه الى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل الى التأويل هو بخلاف التنزيل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى عن الفرس ، وعربوه وقالوا : زنديق ، والثنوية هم الزنادقة ، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم.

وكان من أعظم التأثيرات الفارسية فى الحضارة الإسلامية أن يوجد بها كثير من الفرس كانوا من السابقين الأولين فى تدوين العلوم المختلفة ، فالإمام أبو حنيفة النعمان إمام المذهب ، وحماد الراوية جامع المعلقات العشر، وراوى كثير من الشعر الجاهلى ، وبشار بن بُرد أبرز المحدثين من الشعراء ، وسيبويه الإمام المقدم فى النحو وتدوينه ، والكسائي أحد الأئمة الأعلام فى النحو واللغة والقراءات ، وهو أحد القراء السبعة ، والفراء أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى العالم باللغة والغريب وأخبار العرب وأيامها ، وذو النزعة الشعوبية ،

---

(1) أحمد أمين ، ضحى الإسلام 179/1 ، 181.

(2) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ، ط الأولى 1965 ، جـ 1 ، ص 275.

أبو العتاهية شاعر الزهد ، وابن قتيبة المؤرخ الأديب ، صاحب التأليف الكثير ككتاب المعارف ، وعيون الأخبار. كل هؤلاء – وغيرهم ممن لم نذكرهم – كانوا فرساً وكان لهم أثر كبير فى الثقافة العربية الإسلامية[1].

3ـ علوم الهند

زادت العلاقات التجارية والثقافية بين المسلمين والهنود خلال العصر الأموى حين فتح المسلمون السند عام 91هـ/ 709 م، وزادت العلاقات قوة فى عهد العباسيين. وكانت بلاد السند الإقليم الوحيد الذى حكمه العرب مباشرة أو الذى احتك بهم مباشرة . ورغم أنه كان أقليماً بعيداً عن الخلافة إلا أنه كان الطريق الرئيس الذى انتقلت من خلاله العلوم الهندية الى بغداد[2].

لكن هل تأثرت حركة نقل وترجمة العلوم من الهندية الى العربية ببعد المسافة بين الهند وبغداد ؟ أم أن هذا العامل لم يكن له أهمية كبرى فى حركة النقل والترجمة ؟ أم أن العرب فى حركة النقل الأولى وبداية الثانية كان لهم ميل أكثر فى بعض العلوم الى نقل ما كتبه أهل اليونان ، علماء وفلاسفة، على حين أنه فى البعض الآخر نقلت بعض العلوم من الهند؟ أم أن حركة النقل ساوت بين النقل من المصدرين ؟ هل كان النقلة والتراجمة أقرب الى اليونانية والسريانية فى الحلقة الأولى للترجمة ، منهم الى الهندية ؟ وماذا يفسر لنا هذا الإقبال على ترجمة بعض الكتب مثل السندهند فى عصر المنصور ، وهى فترة مبكرة ، وترجمة بعضها الآخر فى فترة البيرونى وهى فترة متأخرة نسبياً ؟ كل هذه التساؤلات قد تدور بالعقل ونحن بصدد

---

(1) ضحى الإسلام ، 192/1.

(2) شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام ، ترجمة محمد زهير السنهورى وآخرين ، مراجعة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، ط الثانية 1988 ، جـ 1 ، ص 196.

الحديث عن الهند والعلوم الهندية كمصدر من مصادر المعرفة بالنسبة للمسلمين وبطبيعة الحال لابد من التساؤل: أكان هذا المصدر منافساً للمصدر اليوناني ، أم لا ؟

يذكر القفطى فى الأخبار[1] أنه كان لبعد الهند من بلادنا أن قلت تأليفهم عندنا فلم يصل الينا إلا طرف من علومهم ولا سمعنا إلا بالقليل عن علمائهم ، فمن مذاهب الهند فى علوم النجوم المذاهب الثلاثة المشهورة عندهم وهى مذهب السندهند ، ومذهب الأرجبهر ، ومذهب الأركند ، ولم يصل الينا على التحصيل إلا مذهب السندهند ، وهو المذهب الذى تقلده جماعة من علماء الإسلام وألفوا فيه الزيجة . ففى عام 145 هـ / 700 م قدم الفلكى يعقوب الفزارى لبلاط المنصور عالماً هندياً أسمه (منكه) فجاء بكتاب السندهند (السدهانتا) وهو رسالة فى علم الفلك على الطريقة الهندسية وهذه الرسالة ترجمها الفزارى الإبن (إبراهيم) ، فخلقت اهتماماً جديداً بالدراسات الفلكية .

وبعد ذلك بقليل جمع محمد بن موسى الخوارزمى بين النهجين الإغريقي والهندى فى الفلك ، فأصبح هذا الموضوع بعد ذلك فى غاية الأهمية بين الدراسات العربية[2] على ما سيأتى بشئ من التفصيل فى موضوع لاحق من هذا الكتاب .

ومن نقلة الهند يذكر ابن النديم[3] منكة الهندى ، وكان فى جملة اسحق بن سليمان بن على الهاشمى ينقل من اللغة الهندية الى اللغة العربية. وابن دهن الهندى ، وكل إليه بيمارستان البرامكة ، نقل الى العربى من اللسان الهندى .

---

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص 175.

(2) دلاسي أوليرى ، مرجع سابق ، ص 123.

(3) الفهرست ، ص 342.

ومما وصل الينا من علومهم حساب العدد الذى بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى ، وهو أوجز حساب وأخصره ، وأقربه تناولاً وأسهله مأخذاً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختيار والاختراع .

ووصل الى العالم الإسلامي من علومهم فى الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية " بيافر " وتفسيره ثمار الحكمة فيه أصول اللحون وجوامع تأليف النغم[1].

أما علم الطب فيقدم ابن النديم ثبتا يحتوى على أسماء كتب الطب الهندية التى وصلت الى العالم الإسلامي يتضمن[2]: كتاب سسرد ، عشر مقالات ، أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكه الهندى فى البيمارستان ويجرى مجرى الكناش ، كتاب استانكر الجامع تفسير ابن دهن، كتاب سيرك فسره عبد الله بن على من الفارسي الى العربي، لأنه نقل أولا من الهندى الى الفارسي. كتاب سندستاق، معناه كتاب صفوة النجح، تفسير ابن دهن صاحب البيمارستان، كتاب مختصر للهند فى العقاقير، كتاب علاجات الحبالى للهند، كتاب توقشتل، فيه مائة داء ومائة دواء ، كتاب روسا الهندية فى علاجات النساء، كتاب السكر للهند ، كتاب أسماء عقاقير الهند، فسره منكه لاسحق بن سليمان ، كتاب رأى الهندى فى أجناس الحيات وسمومها ، كتاب التوهم فى الأمراض والعلل لتوقشتل الهندى .

وفى موضع آخر من الفهرست يذكر صاحبه[3] أن الذى عنى بأمر الهند فى دولة العرب ، يحيى بن خالد وجماعة البرامكة ، واهتمامها بإحضار

(1) القفطى ، الأخبار ، ص 175.

(2) الفهرست ، ص 421.

(3) الفهرست ، ص 484.

علماء طبها وحكمائها . ومن ذلك أن يحيى بن خالد البرمكى بعث برجل الى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة فى بلادهم ، وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب : " كتاب فيه ملل الهند وأديانها " .

أما عن الحساب ، فقد أطلع العرب على حساب الهنود ، وأخذوا عنهم نظام الترقيم ، إذ رأوا أنه أفضل من نظام الترقيم على حساب الجمل. وكان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام ، وأختاروا سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية ، وهى المستعملة الآن فى أغلب البلاد العربية (١، ٢، ٣ ، ٤، ٥) و عرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية وهى المنتشرة فى المغرب والأندلس ، ومنها دخلت أوربا وتعرف باسم الأرقام العربية (1, 2, 3, 4) [1]. أما استخدام (الصفر) فقد عرفته الهند فى القرن الثامن الميلادى (الثانى الهجرى) غير أن العرب الذين نقلوه عن الهند فى الفترة ذاتها طوروا استخدامه وشكله ، فاستخدموا الصفر على شكل النقطة (.) لاسيما فى المناطق العربية المشرقة ، بينما استخدم عرب المغرب الصفر على شكل دائرة فارغة (0).

تلك كانت صورة عامة عن سير حركة الترجمة والنقل فى المجتمع العلمى الإسلامي ، والتى بدأت فى العصر الأموى ، ثم تطورت شيئا فشيئاً الى أن بلغت ذروتها فى العصر العباسي .

ومما لا شك فيه أن هذا التطور قد أدى بطبيعة الحال الى خلق جو علمى نشط يعمل فى إطاره المترجمون ولديهم برامج علمية معينة يسيرون وفقاً لها فى أثناء نقلهم وترجمتهم لعلوم الأمم الأخرى الى العالم الإسلامي، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال تتبع مدارس الترجمة، وأعمالها فى الفقرات التالية:

---

(1) عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ط. الأولى 1966 ، ص 95.

أولا : حنين بن اسحق ومدرسته :

1ـ رئيس المدرسة " حنين بن اسحق " :

هو أبو زيد حنين بن اسحق العبادى[1] النصراني ، ولد عام 194 هـ / 809 م ، وتوفى عام 260هـ / 875 م ، وذلك بحسب معظم المصادر التى أرخت له[2]، والتى تكاد تتفق على هذه التواريخ .

شب حنين ولديه رغبة قوية فى دراسة الطب والصيدلة وذلك سيرا على درب أبيه الذى كان يعمل صيدلانياً[3] فى الحيرة فانتسب الى أكاديمية الطب المشهورة فى جنديسابور آنذاك وتتلمذ على "يوحنا بن ماسويه " (ت 243 هـ/857 م) . لكن سرعان ما ترك أستاذه لكراهية الأخير لأهل الحيرة ، هؤلاء الذين لا يصلحون لدراسة الطب فى نظره .

فخرج حنين باكياً مكروباً لم ييأس ، بل أكب على دراسة اللغة اليونانية حتى حذقها تماماً . وعندما حقق أمنيته ، قصد البصرة ، فاتقن لغة الضاد، وبذلك استطاع أن يستقى العلوم الطبية من اساطينها الأصليين، وهم : أبقراط وجالينوس ... وغيرهم كثيرون[4].

---

(1) العباد : قوم من قبائل نصرانية شتى ، اجتمعوا ، وانفردوا عن الناس فى قصور ابتنوها بالحيرة ، وتدينوا بالنصرانية ، وسموا أنفسهم " عبيد الله " ثم رجعوا عن هذه التسمية لمشاركة المخلوق فيها للخالق ، فيقال عبيد الله ، وعبيد فلان ، وسموا أنفسهم باسم " العباد " لاختصاص الله به ، فيقال عباد الله ، ولا يقال عباد فلان ..

(2) أنظر، ابن النديم، الفهرست، ص 409، القفطى، الأخبار، ص 119، ابن جلجل، الطبقات، ص68، الشهرزوري، نزهة الأرواح، ص491،ابن أبى أصيبعة،العيون ص 257.

(3) خير الدين الزركلى ، قاموس تراجم الرجال والنساء ، جـ 2 ، ص 325.

(4) حنين بن اسحق ، المسائل فى الطب ، تحقيق د . محمد على أبو ريان وأخرين ، دار الجامعات المصرية 1978 ص 8 ، 9.

وبعد إلمامه باللغات اليونانية والسريانية والعربية ، قصد بغداد ، وعمل مع جبرائيل بن بختيشوع طبيب المأمون الخاص ، فترجم له من كتب جالينوس كتاب " أصناف الحميات " وكتاب " فى القوى الطبيعية " فأدرك جبرائيل ما لحنين من فطنة وكفاية لغوية ، فامتدحه وشهد عند المأمون بأنه " عالما بلسان العرب ، فصيحا باللسان اليونانى ، بالغاً فى اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين "[1]. وهو أيضاً " أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية "[2]. وقد كان لذلك أكبر الأثر فى تقديمه للمأمون (الخليفة العباسي) الذى اشتهر بمحبة العلم وتقريب العلماء ، بقطع النظر عن جنسياتهم أو ديانتهم .

وقد قلده المأمون رئاسة " بيت الحكمة " ذلك المعهد العظيم الذى يعزى إليه والى منشئيه الفضل فى انطلاقه علمية مذهلة ، أثمرت ما أطلق عليه " العصر الذهبى للعلوم الإسلامية " .

ولقد جمع " حنين " حوله فريقاً ممنازاً من المترجمين ، وفاق نشاطه الخاص كمترجم الخيال[3]. وكان العمل فى بيت الحكمة برئاسته يجرى على قدم وساق ، وساد بين المترجمين المشتغلين فيه من نصارى ، وسريان ، وفرس ، وغيرهم " أخلاقيات العلماء من حب وتقدير وتسامح ... ولم تعرف هذه المؤسسة صور التعصب لجنس معين أو دين معين"[4]. فكانت تضم حوالى تسعين شخصاً من المترجمين المدربين تلاميذ حنين ، عملوا فى حرية تامة وتحت إشراف أبنه " اسحق " وابن أخته " حبيش بن الأعسم " . وقد ترجم الأول أعمال بطليموس وأقليدس ، وترجم الثانى أعمال أبقراط

(1) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص 68.

(2) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 259.

(3) The Cambridge History Of Islamic Civilization, Vol 2 , p 678.

(4) ماهر عبد القادر محمد ، دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى ، ص 103.

وديسقوريدس[1]. وكانت نتيجة ذلك أن أخرج علماء بيت الحكمة بفضل الحرية الفكرية التى عاشوها نفائس الكتب من اللغات المختلفة الى اللغة العربية .

وللتراجمة فى النقل طريقان[2]: أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصى وغيرها، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعانى، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى، فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. والثانى أن خواص التركيب والنسب الأسنادية لاتطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات. الطريقة الثانية فى التعريب: طريق حنين بن اسحق وغيره، وهو أن يأتى بالجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها، وهذه الطريقة أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق إلى تهذيب إلا فى العلوم الرياضية، لأنه لم يكن قيماً بها، بخلاف كتب الطب والمنطق، والعلم الطبيعى والإلهى، فإن الذى عرّبه منها لم يحتج إلى إصلاح.

---

(1) Stephen F. Mason , A history of the sciences , first collier books edition , New york 1962 . p. 103.

(2) بهاء العاملى، الكشكول، طبعة بولاق، القاهرة 1288هـ، الجزء الثانى، ص191.

مميزات وخصائص العمل العلمى لجماعة ومدرسة الترجمة :

يمكن استخلاص مميزات وخصائص العمل العلمى لمدرسة الترجمة من البرنامج الذى اتبعه رئيس المدرسة ، وحاول الأعضاء الألتزام به .

عمل حنين بن اسحق على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة يمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمى الجاد الى الآخرين ، فكان أن التف حوله الأتباع الذين عملوا معه ، وأنس بهم ، وأكملوا مسيرته من بعده. عمل مترجماً، وكلف بإصلاح ترجمات غيره من النقلة .. فأخذ ينقل الكتب لكل طالب، وينقح ما ينقله الاتباع والنقلة الذين وجدوا المتسع فى "بيت الحكمة" لإظهار مواهبهم العلمية والفكرية . وكان التسابق بينهم فى الجودة عنواناً للدقة والاتقان ، فضلاً عن حلاوة الأسلوب، وفصاحة اللغة، ورصانة العبارة ، وتجانس التركيب . وكانت يد الأستاذ تمتد الى أعمالهم لتزيدها حلاوة وتهذيباً[1].

والى جانب اتساع مجال نشاط حنين، فإن ميزته[2] تكمن فى الطريقة اللغوية التى استعان بها فى تحقيق النصوص الإغريقية التى يمكن الوثوق بها، وفى فهمه الممتاز للأصول .

كان حنين يراجع دائماً ترجماته السابقة ليقدم ترجمة أكثر دقة.

وكان يحترم النص الأصلى من حيث المضمون ، وفى كثير من الأحيان كان يلتزم بالشكل أيضاً . وهذا يعنى أنه يتميز بعمق النظرة وصحة الأستدلال ، وإصابة الفكرة ، فضلا عن التعبير الأنيق والتنغيم العذب ، وكان يوفى الفكرة حقها ، ولا يتسرع فى اعتبار هذه الكلمة أو تلك حشواً

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق ، ص 147.

(2) شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام ، ص 89.

أو تزيداً . وقد برهن على أن المترجم عليه أن يقاوم ميله الـــي الاختـــصار مضحيا بجملة هناك وكلمة هنا . ومن حيث أدوات الربط ، وجدناه فى كثير من الحالات ينقل الصور الخيالية والأقوال الدارجة والكلمات المأثورة ووجوه البلاغة الأخرى من لغة الى أخرى ، وربما كان السبب الحقيقي فى هـــذا أن لكل لغة رصيدها واختلافاتها ، وتباين نظرة النـــاطقين بهـــا الـــي الكـــون والأشياء[1].

وقد كان عمل حنين فى مجال الترجمة حافزاً لـــه علـــى الاشـــتغال بالطب ، وهذه مسألة ينبغى النظر اليها فى الحكم على جهوده . كان الهدف الأساسي لجهود حنين بن اسحق – فيما يبدو – نقل مؤلفات الأطباء اليونـــان الى اللغة العربية ، على أن تكون الترجمة عربية واضحة ومفهومة على قدر الإمكان . فقد اعتمد حنين على ترجمة نصوص الكتب، كما اعتمد أيضاً على الشروح المصنفة عليها والملخصات التى أعدت لها. وقد أطلق حنين علـــى نتاج هذه الجهود عدة عناوين ، صدرها بكلمة "ثمار" أو كلمة " تفسير لكتاب .." أو " جوامع كتاب ..." أو شرح كتاب ..." [2].

إن اللافت للنظر فى معظم الدراسات التى صـــدرت فـــى "حنـــين" اهتمامها بإبراز جهوده فى الترجمة على حساب جهوده فى الطـــب، اللهـــم إلا بعض الدراسات القليلة مثل تحقيق ونشر كتاب "المـــسائل فـــى الطـــب" بمعرفة الدكتور محمد على أبو ريان وآخرين، ونشر كتاب "المـــسائل فـــى العين" بتحقيق الأب سباط، ونشر كتاب "العشر مقالات فى العـــين" بتحقيـــق ماكس مايرهوف الذى ذكر أنه منسوب لحنين، وذلـــك بنـــاءً علـــى شـــهادة المستشرق بيرجشستراسر الذى قرأ النص العربى للكتاب، وقـــرر أن لغتـــه

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق ، ص 140 – 141.

(2) حنين بن اسحق ، المسائل فى الطب، ص 449.

ليست لغة حنين دائماً حين كتبه على مدار أكثر من ثلاثين سنة، وربما تكون صياغته النهائية قد أعدها حنين، أو كتبها جُيش بن الأعسم ابن أخت حنين، أو تلاميذ آخرين .. ومع ذلك فإن كتاب العشر مقالات فى العين قد لعب دوراً مهماً فى طب العيون العربى الإسلامى، فقد أفاد منه أعلام الكحالة العرب والمسلمين، أمثال على بن عيسى الكحال، وعمار بن على الموصلى أشهر جراحى المسلمين عبر العصور، بل أحد أهم جراحى التاريخ، وكذلك أفاد منه أصحاب أهم مؤلفين تدريسيين فى علم الكحالة العربى الإسلامى، وهما خليفة بن أبى المحاسن، وصلاح الدين بن يوسف الحموى. وفى أول كتاب فى علم الكحالة فى الإسلام كتب بالفارسية، وهو كتاب "نور العيون" الشهير، اقتبس صاحبه أبو روح بن منصور الجرجانى "المعروف بذى اليد الذهبية" اقتباسات من "العشر مقالات فى العين"، وفى الأندلس إبان القرن السادس الهجرى نقل منه الغافقى، وكذلك فعل كل من ابن الأكفانى والشاذلى بمصر فى القرن الثامن الهجرى.

إلا أن أهم الاقتباسات وأكثرها قد جاءت فى موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى، تلك الاقتباسات التى ساعدت يوليوس هيرشبرج (1843 – 1925) أستاذ طب العيون فى جامعة برلين، فى كشف زيف وجود كتاب العشر مقالات فى العين لحنين فى ترجمتين لاتينيتين مختلفتين ظهرتا فى العصور الوسطى، الأولى هى "كتاب جالينوس فى العين" نقل دميتريوس، والثانية هى "كتاب قسطنطين الإفريقى فى العين"، إذ وجد هيرشبرج أن معظم المادة العلمية لهذين الكتابين قد عثر عليها فى الترجمة اللاتينية لكتاب الحاوى منسوبة لصاحبها حنين بن اسحق، وليس لدميتريوس ولا لقسطنطين الإفريقى.

ومن هنا تأتى أهمية موسوعة الحاوى فى الطب للرازى، تلك التــى انتهيت فى تحقيقى لها على مدار خمس عشرة سنة إلى العديد مــن الفوائــد الجمة التى تخدم ليس تاريخ الطب العربى الإسلامى فحسب، بل تاريخ الطب الإنسانى كله، ومنها أنها تحتوى على أوراق ومتون كتب مــن الحــضارات السابقة على الحضارة الإسلامية، كالحضارة الهندية، والحضارة الفارســية، والحضارة اليونانية، وأيضاً الحضارة العربية الإسلامية.

وفى كتابى "أعلام الطب فى الحضارة الإســلامية (9) حنــين بــن اسحق، حاولت أن أميط اللثام عما حفظه الرازى فى الحاوى مــن مؤلفــات حنين بن اسحق الطبية، الموجود منها، والمفقود، ومنها[1]:

1ـ كتاب الترياق:

قد يكون كزاز من التعب والنوم على الأرض اليابسة، وحمل شيىء ثقيل، ولسقطة أو خراجات، أو كى، أو نار، فيعرض معه شبيه الضحك بغير إرادة، وليس به حمرة فى الوجه وعظم فى العين. وإما أن لا يبولوا أصــلاً وإما أن يبولوا شبيهاً بماء الدم فيه نفاخات، ويعتقل البطن، ويعرض السهر، وكثيراً ما يسقطون من الأسرة، بسبب التمدد، وربما عرض لهم الفواق فــى الابتداء ووجع الرأس، ومنهم من يعرض له الوجع فى المنكبــين أيــضاص والصلب، ومنهم من يعرض له الرعشة. وعلاج هؤلاء مثــل عــلاج مــن يعرض له التمدد من الاستفراغ.

ومن عرض له التمدد الكزازى فافــصده أولاً فــى ابتــداء العلــة، ثم ضع على تلك الأعضاء صوفاً مغموساً فى زيت عتيق أو فى دهن قثــاء الحمار مع جندبادستر وأملأ إناء عريضاً زيتاً حاراً، ويوضع على عــصب

---

(1) خالد حربى، أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (9) حنين بن اسحق برواية الرازى، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة، ط. الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010

العنق، ويتحجم بشرط، فإن التى بلا شرط تضر وأجعلها على العنق والفقار من الجانبين، وفى الصدر، وفى المواضع الكثيرة العضل، وتحت الشراسيف، وفى مواضع المثانة والكلى، ولا مانع من إخراج الدم ولا تخرجه فى مـــرة، لكن فى مرار كثيرة، وانشف العرق بصوف مبلول بزيـــت لـــئلا يعـــرض لصاحبه البرد، فإن دام ذلك الكزاز فادمن فأدخله آبزن زيت حـــار مـــرات فى اليوم، ولا تبطئ فيه، وتعلل أن له قوة قوية جداً.

ويسقى ماء وعسل قد طبخا حتى يذهب النصف. ويسقى جاوشـــير من نصف درهم إلى درهم ونصف، مع حبة كرسنة، ودرهم مـــن الحلتيـــت أو يسقى مثقال مر بماء العسل.

وأبلغ من هذه كلها الجندباستر تعطيه قليلاً قليلاً فى ثلاث مرات، لأن البلع يعسر عليهم، وكثيراً ما يخرج من مناخرهم ما يشربون ويـــضطربون لذلك، فيهيج التمدد لذلك، فلطخ المعدة بدهن السذاب والجاوشير وأحقنهم.

وأما صب الماء البارد على ما قال أبقراط، فإن فيه خطراً عظيمـــاً ولذلك لم يذكره أحد بعد أبقراط ونحن أيضاً نتركه، ليدبروا تـــدبيراً لطيفـــاً ويتمرخوا بالأدهان اللطيفة القابضة.

2ـ كتاب اختبار أدوية العين

أجناس أدوية العين سبعة، مسدد مغرى مملس، والثانى مفتح، والثالث جلاء، والرابع منضج، والخامس مخدر، والسادس معفن، والسابع قـــابض، فالمسددة المغرية ضربان: أرضى ويابس، وهى تجفف بـــلا لـــذع، وهـــى مصلحة التجفيف والسيلان اللطيف الحار، وخاصة مع القروح، وتصلح بعد إفراغ البدن والرأس وانقطاع السيلان، لأنها تجفف تجفيفاً معتـــدلاً، وتمنـــع الرطوبة التى فى أوردة العين من النفوذ فى الطبقات، فإذا لم ينقطع السيلان،

فلا ينبغى أن تستعمل، لأنها حينئذ تشدد الوجع، وذلك أن أوردة العـين مـن كثرة ما تمتلئ وتمدد الصفاقات، فربما تآكلت وربما تخرقت، ومنفعـة هـذا لا يتبين إلا فى زمان طويل، إلا أنه يضطر إليها إذا كانت فى العين قرحـة وتآكل فى القرنية ونتوء فى العنبية، وإذا [كانت] تسيل إليها رطوبة حريفـة، فإنها تحضر وتجمع العين بشدة فتزيد فى الوجع.

والدواء الحار يزيد فى رداءة الرطوبات، ويجرى إليهـا، والـدواء المرخى والمحلل والمنضج يفرغ هذه الرطوبات السائلة، إلا أنـه لا يمـلأ القروح ولا يـدملها ولا يقـبض النتـوء، ولا يـصلح لمثـل هـذه العلـة إلا الأدوية القريبة من الاعتدال وإلى البرد إلى أن تجفـف تجفيفـاً يـسيراً ولا يلذع البتة، وهذه هى التوتيا المغسول والاسفيداج والإثمد المغسول.

أمراض ثقب العنبى أربعة، اتساعه، وضيقه، وزوالـه، وانخراقـه، فاتساعه يكون إما طبيعياً، وإما حادثاً، والذى يحدث هو إما من امتداد يعرض فى العنبية عن ألمها فى نفسها، ويكون من يبس، وهو مرض بسيط من سوء مزاج يابس، وإما لكثرة الرطوبة البيضية وهو مرض مع مـادة كـالأورام، وإما ضيقها فيكون أصلياً وحادثاً.

والحادث من استرخاء العنبية، ويسترخى لعلتين إما لرطوبة تغلـب على مزاجه فترخيه، وإما لقلة الرطوبة البيضية، وضيق العنبية أبدا أحمـر فى حدة البصر، وجودته إذا كان أصلياً، فأما الحادث فردئ، وخاصة إن كان عن نفصان البيضية، لأن الجليدية لا يسترها حينئذ عن النور كثير شـيء، فيضره ذلك بها، ولأنها تعد أيضاً من غذائها فيضعف ويفسد مزاجها علـى الأيام، وإن كان من استرخاء العنبية أيضاً فهو ردئ، لعلل قـد يمكنـك أن تعرفها مما تقدم.

وأما انخراق الحدقة، فيكون عرضا إذا نتأ شيىء من العنبـــى فـــى القروح، وهو يضرب بالبصر، أو يتلفه على ما تقدم.

وأما انخراق العنبية، فإن كان صغيراً لم يضر، وإن كـــان عظيمـــاً سالت منه الرطوبة البيضية ويذهب البصر.

من كان بعينه الرمد الحار وبثر، يجلس فى موضع قليـــل الـــضياء، ويجعل فرشه ثياباً مصبغة، ويفـــرش حواليـــه الآس والخـــلاف الخـــضر، وأجمع الكحالون على أن جميع الأدوية التى تكحل بهـــا، ينبغـــى أن تكـــون فى حد ما لا يحس دقه، وإلا انكثت العين وعظم ضررها.

وأنفع الأميال: المتين الشديد الملاسة، ويرفع الجفن، ويقلبها برفـــق جداً ويؤديها ويردها، فإذا أقلبها لم يتركها تستوفى فى ذاتها، لكن يردها برفق ويضع الذرور، ويرفق عند الموقين ولا يخلط بالميل فى العين، وإن كنـــت تريد أن تقلع البياض، فتضعه على البياض وحده وتمسك سريعاً.

3ـ كتاب المسائل والجواب فى العين

ما بال من عظمت عيناه فجحظا عند الرمد؟ وينتؤ إن أكثر لعظمهـــا ولأن رطوباتهما أكثر.

الدموع فى الرمد باردة لأنها غير منهضمة، وفى حال الصحة حارة لأنها منهضمة.

حلق الرأس ينفع الرمد، كثرة الشعر تـــضره إلا أن ينـــسبل الـــشعر انسبالاً كثيراً، فإنه حينئذ يفى بأن يجفف الرطوبة التى فى الرأس بجذبها إليه، فأما ما دام لم ينسبل، فإنه يملأ الرأس ولا يدعه ينتشر.

الرمد فى الصيف أكثر ولا يكون مع الحمى إلا فى الندرة، وإذا حـــم صاحب الرمد فى الصيف إما أن يصح وإما أن يعمى.

الفضل الحار الرقيق يعمى فى الأكثر إذا نزل فى العين ولا مغص معه، والذى فيه رمص فليس بحار ولا لطيف بل غليظ بارد وهو يؤمن من العمى ورداته القروح.

4. كتاب فى معرفة أوجاع المعدة وعلاجها

أنا استعمل زبل الحمار الراعية مع بزر الحرف فى الصداع المسمى بيضة.

الحماما يسكن الصداع إذا ضمد به الجبهة، ورق الحناء إذا ضمد به الجبهة مع الخل سكن الصداع، وعصارة حى العالم نافعة من الصداع إذا جعلت مع دهن ورد وطلى بها الرأس. واللفاح إذا شم جيد للصداع الذى من الصفراء والدم الحار.

فصد عرق الجبهة نافع لثقل الرأس والأوجاع المزمنة فى آخر الأمر إذا لم تكن مادة تنصمب، وأما إذا كانت بعد أن تنصب فضع المحجمة على القفا إذا كان الوجع فى مقدم الرأس، وكثيراً ما تكفى المحاجم فى ذلك بلا شرط، وربما احتيج إلى شرط، وذلك يكون بعد استفراغ البدن كله، وكذلك فصد عروق الجبهة ينفع ثقل مؤخر الرأس فى حدوثها ومنتهاها، وينبغى أن يكون ذلك أيضاً بعد أن تكون قد استفرغت جميع البدن لكى لا يحدث للرأس شيئاً.

ولكن ينبغى أن يكون الشراب صرفا، لأنه يبلغ ذلك الممزوج باعتدال ما يحتاج إليه.

الصداع الذى بمشاركة الرحم يكون فى اليافوخ، ويكون أكثر ذلك لورم فى الرحم حار بعقب الودلاة والإسقاط، وقلة النقاء من النفاس.

الغثى من شيىء ثقيل على فم المعدة أو من شيىء يلذعها كما يعرض إذا صار الطعام حامضاً أو حريفاً أو من سوء هضم أو من فضول تنصب إليها من الجسم أو من لزوجات تجتمع فى المعدة، وبالجملة كل ما لايقبل الهضم لا تحبسه المعدة وتروم لذلك دفعه.

وإذا هاج القيئ بلا شيىء أكل فالسبب فى ذلك أخلاط رديئة تلذع، ويسكن ذلك بالقيئ فإن كان قليلاً لا يمكن أن يقيئ وبقى الغثى.

وهذه الأخلاط ربما كانت مرارية وربما كانت بلغمية.

وعلاج ذلك إما أن تستفرغ، وإما أن تنضج إلا أن الإنضاج لا يمكن فى المرارى لأنه لا يمكن استحالته إلى صلاح أبداً بل ينقى، والإنضاج يكون بالسكون والنوم والامتناع من الطعام، وأما المرارى فإن كان غير شديد اللحوج شرب ماء الكشك أو سكنجبين أو ماء حار، وإن كان شديد اللحوج فاستفرغه بقوة فإن لم يمكن لضعف أو حمى فعدل بأغذية يصلح لها وفى الوقت الذى يصلح إلا أنه إن كان محموماً لم يمكن أن يعطى من القوية، وإن كان ضعيفاً فاقسمه فى مرات، وإن كان للحمى نوائب فاسهله فى وقت نقاء الجسم بالأرياج، فإن لم تكن حمى فلا تتخلف عنه فإنه يقلع التى قد عسر تخلصها من أغشية المعدة.

قرص يسكن الغثى إذا كان من حرارة ويسكن الوجع ويجلب النوم: بزر الورد ثمانية مثاقيل، حب الآس الأسود المنقى من بزره ثمانية عشر مثقالاً، بزربنج تسع أواق يسحق الجميع وينخل ويعجن بشراب جيد قليلاً بقدر الحاجة وألق عليه قسباً منزوع النوى عشرة وأسقه الشراب وقرصة واسق منه درهماً ونصفاً بقدر ما ترى من القلة والكثرة.

دواء ينفع من به غثى ويعسر عليه القيئ: كزبرة يابسة سذاب بالسواء ويشرب مع خمر ممزوجة، وإن وجد لذعاً فاسقه ذلك مع ماء بارد

ومن أصابته هيضة فاسفة أولاً ماءً فاتراً، أو يتقيأ كل ما فى معدته، فإن عسر عليه القيئ فأهجه بما يهيج به القيئ، وإذا تقيأ ذلك كله يتناول أغذية مقوية للمعدة وأمزجها بدهن ناردين ولطف بعد انصرافه غذاءه أياماً.

العطش يكون من سوء مزاج حار فى المعدة والرئة والكبد ومن أخلاط مالحة فى المعدة أو مرارية، وربما حدث من رطوبات فى المعدة شبيهة بالغليان فيحدث العطش، وأكثر الأعضاء إحداثاً للعطش فم المعدة، ثم سائر المعدة، ثم المرئ، ثم الرئة، ثم الكبد، ثم المعى الصائم، وأما العطش الخفيف فسببه يبس المواضع التى تخرج منها الرطوبة من الفم، وعلاجها: النوم وما يرطب باطن الجسم، وأما حرارة تلك المواضع فعلاجه: اليقظة لأنها تنفش وتحلل وقد يصيب ناساً عطش إذا ناموا من أجل حرارة ما يتناولونه من الأطعمة والأشربة، وشفاؤه: شرب الأشياء البادرة.

5ـ كتاب فى حفظ الأسنان واللثة

ينبغى لمن أراد أن يبقى صحة أسنانه ولثته أن يحذر فساد الطعام فى معدته ويحذر كثرة القيىء ولا سيما الحامض منه ومضغ الأشياء الصلبة والعلكة كالناطف والتين، وكثرة الأشياء الصلبة مثل الجوز والبلوط، فإن هذه كلها إذا صلبت تزعزعت أصول الأسنان حتى إنها تتحرك وتقلع وتحدث فيها ضروب من الأمراض، ويجتنب كل ما يضرس مثل الحصرم وحماض الأترج، والمركب من الحامض والقابض.

ويحذر على الأسنان الشيئ المفرد البرودة كالثلج والفواكه المبـــردة ولا سيما بعد تناول الشيئ الحار ويحذر أيضاً ما يبقى بين الأسنان من الطعام وينقيها بجهده من غير إزعاج للأسنان ولا نكاية اللثة لأن إدمـــان الخـــلال والعبث به ينكى اللثة، فمن اجتنب هذه بقيت له سلامة أسنانه ولثته، فإن أراد أن يستظهر فليستعمل السنونات.

وأجود السنون ما كانت معه قوة مجففة باعتدال، ولا يكون له إسخان ولا تبريد ظاهر لأن التجفيف من أوفق الأشياء للأسنان إذا كان طباعها يابساً وقوتها وصلابتها باليبس، ولأنه قد ينالها شيئ من الرطوبة المنحـــدرة مـــن الرأس والمتصعدة من الرئة والمعدة مع ما تكتسبه مـــن رطوبـــة الأشـــربة والأطعمة فتشترخى لذلك كثيراً وتحتاج هى واللثة إلى تجفيف.

فأما الإسخان والتبريد فلا يحتاج إليه إلا فى الندرة وعنـــد زوالهـــا عن طباعها زوالاً شديداً، وذلك أنها متى مالت إلى البرد فينبغـــى أن يكـــون فى السنون قوة إسخان وبالضد، فهذا ما يستعمل من السنون لحفظ الـــصحة وقد تستعمل سنونات للزينة، إما لجـــلاء الأوســـاخ أو الحفـــر أو التبـــيض، أو لشدة اللثة.

فجميع الأدوية التى تصلح للأسنان ينبغى أن يكون معها قوة تجفيف كما قلت، إلا أنه لم تكن الأسنان قد مالت عن طباعها فلا يحتاج فى حفظهـــا إلا فى التجفيف فقط، فأما إذا كانت قد حدثت بها آفة، فيحتاج أن يكون مـــع التجفيف مضادة لتلك الآفة بحسب قوتها.

فأما الأدوية التى تجفف بلا حر ولا برد فجوز الدلب ولحاء شـــجرة الصنوبر وقرن الأيل المحرق ونحوها.

والأسنان وإن كانت عظاماً يقبل الفضل، ويستدل على ذلك بأنك ربما رأيت الضرس قد أسود ونفذ السواد فى بدنه كله، وأيضاً فإنك تجدها تنمى دائماً، ويستدل على ذلك أنه إذا سقط ضرس، طال المحاذى له، لأنه لعدم احتكاكه بالذى سقط فبان نموه، والنمو لا يكون إلا لأن الغذاء يداخل جرمها ثم يتشبه به.

وإذا كانت الأسنان مما تغتذى وتنمى فإنه قد يعرض لها المرض الكائن من كثرة انصباب الغذاء إليها فيعرض لها أن تدق وتجف حتى يتحرك فى أواريها كما يعرض للشيوخ، والأول يحتاج إلى ما يحتاج إليه سائر الأورام التى ما يدفه عنها بتقويته وتشديده لها، وبما يحلل ويفنى ما حصل فيها بإسخانه وتجفيفه إياها.

وينبغى أن يكون غرضك فى التسديد والمنع فى أول الوجع، فإذا رأيت فى اللثة والفم والرأس كله أمارات الحرارة فالأدوية المحللة فى آخر الأمر، وأما تحرك الأسنان فى أواريها العارض من الشيخوخة فلا علاج له إلا شد اللثة بالقابضات، فإنه متى قبضت اللثة أمسكتها بعض الإمساك.

وقد يعرض التحرك للأسنان من ضربة أو من رطوبة كثيرة تبل العصب المتصل بأصله ويرخيه، وعند ذلك يحتاج إلى أربعة أصناف من الأدوية مجففة مثل قرن الأيل، وبعر المعز والبرشياوشان، والتوتيا ونحوها، ومحللة مع تجفيف مثل المر والسذاب، والقطران والزفت وخل العنصل، وقابضة مع تجفيف مثل العفص والشب والحصرم، وما يحلل مع قبض مثل المصطكطى، والسنبل، والساذج، والزعفران والملح.

6ـ كتاب فى إصلاح اللثة واللسان[1]

ينبغى لمن يريد أن تدوم سلامة أسنانه أن يحذر فساد الطعـــام فـــى معدته والإلحاح على القيىء، وخاصة إن كان ما بقى حامضاً فإن ذلك مفسد للأسنان، وإن تقيأ فليغسل الأسنان واللثة بعد ذلك بما يدفع ذلـــك الـــضرر، واجتناب إدمان مضغ الأشياء العلكة واليابسة، فـــإن هـــذه ربمـــا كـــسرتها، وربما أذهبت أصولها.

ويحذر عليها الشيئ المفرط البرودة، وخاصة بعقب تنـــاول الطعـــام الحار ويحذر عليها أيضاً الأطعمة السريعة العفونة مثل الألبـــان والأجبـــان والمالح والصحناه، وإن أكل أحسن غسلها منه، ويحذر ما يبقى بينها فيها من الطعام، فإنه يكون سبباً للعفونة فإن تجتنب هذه تديم سلامتها إذا كانت جيـــدة من الأصل، فإن أحببت الاستظهار استعمل السنونات.

أجود السنونات ما جفف تجفيفاً متوسطاً ولـــم يـــسخن ولـــم يبـــرد لأن التجفيف موافق للأسنان المتآكلة طباعها، وكذلك اللثة فإنما تحتاج إلـــى التجفيف دائماً، فأما الإسخان والتبريد فلا تحتاج الأسنان إليه إلا عند خروجها من طباعها، فمتى دامت على حال صحتها فالسنون لا ينبغى أن يكون مسخناً ولا مبرداً، فإذا زالت، زيد فى إسخانها أو تبريدها بقدر ما يحتاج إليها.

وإن كان فى اللثة فضل رطوبة فزد فى السنون ما يحلل، ومتى كان قد نال الأسنان برد من طعام بارد فاستعمل الأدوية الحارة مثـــل الـــصعتر والسذاب فى المضغ والسنون.

---

(1) لم يذكره المؤرخون.

للأسنان التى قد بردت: يؤخذ من الأبهل، وقشور أصل الكبر، والعاقر قرحا بالسوية فيدلك بها الأسنان، ومتى أردت إنبات اللحم فى اللثة فاطرح فى السنون أيرسا ودقيق الكرسنة والشعيرة ونحوه فإن هذه تنبت لحم اللثة، ومتى كانت مائلة إلى الحمرة والرطوبة فاستعمل القوابض كالجلنار والعفص والشب والمياه الباردة والقابضة للثة، وفى أول فسادها الدنك الخفيف بالفلتفيون، وإذا كثر الدم فيها فالتحليل والدلك بعد التحليل بالقوابض الباردة كالورد وبزره والكافور والصندل لئلا ترم.

وإذا كانت فاسدة فيكوى ما فسد منها حتى يسعط، ثم يعالج بعد ذلك بما ينبت اللحم حتى تلتأم اللثة وترجع إن شاء الله.

وجملة ما يستعمل فى الفم من السنونات والمضامض ترجع إلى سبعة أنواع، إما يبرد فقط ولا يقبض قبضاً شديداً مثل: بزر الورد، وبزر الخس، والكافور، والصندل، والأفيون القليل، والعدس المقشر ونحو ذلك وهذه تستعمل عند ابتداء حرارة.

وإما ما يقبض قبضاً قوياً ولا يبرد ولا يسخن مثل العظام المحرقة، والأكلاس، والآجر ونحو ذلك.

وإما ما يقبض ويسخن مثل: الأبهل، والسرور، والسعد، وأخلاط الأشياء الحارة مثل الصعتر وقشر الكبر بالسنونات القابضة.

وإما ما يقبض بقوة ويبرد مع ذلك مثل: السماق والجلنار والعفص وأخلاط الأفيون القليل.

وإما ما يحرق ويكوى وهو يستعمل عند فساد اللثة والأسنان مثل: الفلتفيون.

وإما ما يجلو فقط مثل: القيصوم، والسنبازج، والآجر، والخزف، فجميع السنونات من هذه الأجناس السبع متى كان الوجع فى اللثة إذا غمزت عليها أو يحس العليل الوجع فى اللثة فلا يقلع الأسنان فى تلك الحالة فإنه يزيد الوجع، فأما متى كان فى أصل الأسنان فإنه يخف به الوجع إذا قلع وتصل الأدوية إليه إذا عولج فيكون أبلغ.

وينبغى أن يحذر السنون الحار والخشن لأنه يضر بالموضع الدقيق من اللثة الذى يتصل بالأسنان فيكون شيئاً لا يبرئ منه فى طول المدة.

ومما يمنع من تولد الحفر أن يغسل الأسنان نعماً بما يجف بخرقة ويدهن فى الشتاء أو عند غلبة البرد بدهن البان إذا أردت النوم، وأما فى الصيف وغلبة الحر فبدهن الورد ظاهرها وباطنها.

وأما اللثة فقد يعرض فيها الوجع عند الورم يحدث فيها، ويسكنه أن يأخذ دهن ورد خالص مقدار ثلاث أواق، مصطكى ثلاثة دراهم، يسحق المصطكى ويلقى فى الدهن ويغلى ثم يترك حتى يفتر ويتضمض به، وقد يسكن هذا الدواء الوجع العارض من ورم سائر أجزاء الفم لأنه يدفع الفضل دفعا رقيقا من غير أن يحس، كما تفعل الأدوية القوية القبض ويحلل أيضاً خمر غير لذع، وقد يعرض للثة رطوبة حتى تسترخى، ومما يجفف ذلك ويشد اللثة أن يطبخ جلنار بخل ويتمضمض به، أو يطلى عليها شب يمانى بالعسل والملح.

7- كتاب الإقراباذين[1]

للصداع المزمن العتيق والشقيقة: فلفل أبيض، وزعفران درهمان من كل واحد، فريبون درهم، خرء الحمام البرية درهم ونصف، يعجن الجميع بخل وتطلى به الجبهة.

---

(1) لم يذكره المؤرخون.

للطنين فى الأذن: دهن السوسن يخلط معـــه قليـــل مـــاء الـــسذاب، أو دهن اللوز المر وخل خمر ويقطر.

الكبريت إذا خلط بالخمر والعسل، ولطخ على شدخ الأذن أبرءها.

ماء الكراث إذا خلط بخل خمر وكندر ولبن أو دهـــن ورد، وقطـــر فى الأذن فإنه يسكن وجعها ودويها وطنينها.

سنون يقطع الدم المفرط الخارج من اللثة: ثمر الطرفا، سك من كل واحد ثلاثة دراهم، عصارة لحية التيس، طين أرمنى من كل واحـــد درهـــم، دار صينى نصف درهم، أبهل درهم يدلك به.

ومن أدويته، تعالج عفونة اللثة بحسك يابس مسحوق بماء العـــسل، أو بالأبهل.

للسمنة: توذرى خشخاش أبيض من كل واحد درهمان، بورق جزء، جوز جندم جب الصنوبر ثلاثة ثلاثة، حب السمنة أربعة، سورنجان بزربنج عاقر قرحا خولنجان بهمن أبيض من كل واحد درهم، كسيلا خمسة دراهـــم، حنطة بيضاء محكوك، لبن البقر، تنقع الحنطة باللبن حتى يربو، ثم يجفف فى الظل ويقلى ويخلط الجميع ويلقى عليه سمن البقر عشر مغارف ويخلط نعما ويسقى كل يوم عشرة دراهم بالغداة وعشرة بالعشى ويشرب بعده لبنا.

سمنة أخرى: تحسن اللون وتخضب البـــدن: لـــوز، بنـــدق، حبـــة خضراء، فستق، شهدانج، حب صنوبر كبار، يعجن الجميع بعـــسل ويجعـــل بنادق ويؤخذ منها كل يوم كالجوزة خمسة أو عشرة ويشرب بعده شراباً فإنه جيد للباءة أيضاً ويحسن اللون.

المهزولون إذا حموا فاعطهم سويق الرمان ونحـــوه لترجـــع إلـــيهم شهواتهم ولا تسخنهم بالدثار بل يكون ما يلقاه أملس، واختر لهم هواءً رطباً، فإن ذلك صالح لهم، وأدخلهم الأبزن المعتدل، وإذا خرجوا منه سكنوا ساعة واستلقوا على فرش وطئه حتى يسكن عنهم الحر، ثم ليأكلوا، وليـــأكلوا فـــى اليوم مرات قليلاً قليلاً وامنع أبدانهم من التحلل الخفى بالهواء البارد.

8ـ كتاب فى تدبير الأصحاء بالمطعم والمشرب

الأطعمة الحامضة إن صادفت فى المعدة خلطـــاً قطعتـــه فأســـهلته، وإن صادفتها نقيئه أمسكت البطن فلذلك السكنجبين وماء الرمان الحـــامض، ربما لينا.

الأطعمة تضر بالمعدة على جهات إما أن تلذعها بحدتها كما يفعـــل البورق، أو تلطخها بلزوجتها كما يفعل اللعاب والبقول اللزجة، أو ترخيهـــا يدهنها كما تفعل الأطعمة الدسمة فهذه ضارة لجوهر المعدة.

فى تدبير من غلب على بدنـــه الحـــار واليـــابس، قـــال جـــالينوس فى الذبول: إنه لولا التدبير بالآبزن والمروخ لما كـــان إلـــى شـــفاء الـــدق (السل) سبيل.

9ـ كتاب الحمام

إن أصحاب الشوصة ينتفعون بالحمام بأن يـــسكن الوجـــع ويـــسهل النفث، وانتفاع أصحاب ذات الرئة أكثر، وذلك أنه يسهل النفث جداً.

واعتمد فى سهولة النفث على الترطيب، واقصد له، لأن الذى ينفـــث إن كان شديد اليبس يرتفع إلا بسعال شديد يخاف أن يخرق بعصر الأوعية.

10ـ كتاب فى تشريح آلات الغذاء

الأدوية المقيئة القوية تستعمل حيث يحتاج إلى ازعاج خلط من أطراف البدن لا تقدر المسهلة على جذبه، لأن هذه مفرطة القوة مزعجة للقوى إلى دفع ما فى أقاصى البدن.

جعل الله اجتذاب المرار فى الصبر والسقمونيا، واجتذاب السوداء فى الأفتيمون والخريق الأسود والبسبائج، واجتذاب البلغم فى شحم الحنظل والقنطوريون والغاريقون، واجتذاب المائية فى المازريون وتوبال النحاس والقاقلى وإيارج وغاريقون.

لقد امتدت جماعة حنين بن اسحق لتشمل عددا كبيرا من المترجمين الذين أجادوا فن الترجمة، وشكلوا قوام المدرسة، ومنهم حبيش بن الأعسم، واسحق بن حنين ، وغيره ممن عملوا تحت إشراف حنين بن اسحق بصورة دقيقة .

لقد تمثل كل هؤلاء الطريقة العلمية التى وضعها حنين بن اسحق لنقل وترجمة الكتب من علوم الحضارات الأخرى الى اللغة العربية. وقد أدى هذا الى نشاط ملحوظ فى وضع مؤلفات وكتابات العلماء السابقين أمام العلماء العرب .

2- اسحق بن حنين

ابن حنين بن اسحق، تتلمذ على أبيه فى جو مشبع بالعلم وممارسته، ووعى الابن درس الأب، فشب ممارساً جيداً للعلم، حتى لحق بأبيه (الأستاذ) فى الترجمة والنقل، على ما يذكره صاحب العيون[1] من أن اسحاق

(1) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص247.

"كان يلحق بأبيه فى النقل وفى معرفته باللغات وفصاحتها، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب أرسطو".

يشير هذا النص إلى ميزة هامة فى تقاليد أسرة حنين بن اسحق العلمية، ألا وهى تنوع التخصصات فى ممارسة العلم، فالمشهور عن مدرسة حنين أنها تخصصت فى ترجمة ونقل الكتب الطبية، إلا أن ما ترجمه إسحاق بن حنين من كتب الفلسفة والمنطق – فضلاً عن ترجماته الطبية ومؤلفاته الشخصية – يضفى على هذه المدرسة معناً من التنوع والثراء العلمى والفكرى. [1]

وتعد مؤلفات اسحق بن حنين الشخصية، لبنة أساسية فى بناء مدرسة حنين بن اسحق، ومنها[2] : كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان – كتاب إصلاح الأدوية المسهلة – اختصار كتاب إقليدس – كتاب المقولات – كتاب فى النبض على جهة التقسيم – كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم – مقالة فى التوحيد.

ساهم اسحق، متأثراً بأبيه فى التأليف الطبى، وإن كان إسهامه ليس فى حجم إسهام أبيه، فكتب فى قوى الدماغ وأمراضه، وطب العيون (الكحالة)، وأمراض الأذن والأنف والفم والأسنان واللثة، وأمراض الحلق والمرئ والرئة والمعدة، والكبد، وبالجملة كتب اسحق فى الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، وقدم لها العلاجات المناسبة.

---

(1) من أهم الكتابات الفلسفية الأرسطية التى ترجمها إسحاق بن حنين: كتاب الأخلاق، وكتاب الكون والفساد، وكتاب النفس، وكتاب أنالوطيقا، وكتاب الطوبيقا، وكتاب بارى أرميناس، ومقالة اللام ... وغيرها (ابن أبى أصيبعة، عيون الأنبياء، 247).

(2) النديم، الفهرست، طبعة القاهرة القديمة، ص282.

وتعد كتابات اسحق بن حنين من الكتابات الطبية العربية المهمة فى فترة مبكرة من تاريخ الطب العربى الإسلامى، وليس أدل على ذلك من أن معلوماته جاءت مفيدة للاحقين من أجيال العلماء، فنقلوا منها فى مؤلفاتهم، لاسيما الرازى الذى قرأ كثيراً من معارف اسحق بن حنين، ودونها فى موسوعته "الحاوى" فحفظها من الضياع، ومن نصوص اسحق بن حنين فى حاوى الرازى ما يلى[1]:

استدل على الورم فى الدماغ الحادث بالصبيان بأن مقدم الرأس ينخفض ويتطامن، فينبغى أن يجعل على الرأس جرادة القرع أو قشور البطيخ، أو ماء بقلة، وعنب الثعلب ودهن الورد.

للصداع الحادث من احتراق يعالج بالأدهان الباردة كدهن النادرين ونحوه، والذى سببه خلط فى فم المعدة فبالقيىء، إن لم يعسر عليه، فإن عسر فلا تقيئه، لكن أسهله بماء نقع فيه افستين، وإن كان قد شربته طبقات المعدة فبالإرياج.

إذا حدث فى العين ورم وضربان فاقتصر بالعليل على الذروات و[مره] بالسكون وترك الحركة بتة، ويجعل <فى> نومه رأسه مرتفعاً ولا ينظر إلى الضوء، ولا يصيح، واعمز يديه ورجليه، وأكثر من دلكهما، وشدهما أيضاً <شداً> وحلها بعد ذلك، واجعل على عينه ورق البنفسج الطرى أو لبن جارية، حُلب من ساعته مع دهن ورد، وبل به قطنه ورفدها به من خارج، فإن كان ما يسيل من العين مالحا فقطر فيه لبنا أو بياض البيض، ولفها من الرمص برفق، وإن اشتد الوجع، فخذ ورداً يابساً أربعة

(1) خالد حربى، أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (10) اسحق بن حنين برواية الرازى، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة، ط. الأولى،دار الوفاء،الإسكندرية2010،ص10.

مثاقيل، وزعفران مثقال، يسحق ويعجن بماء طبيخ إكليل الملك وضمد بــه، <و> هذا يكون فى أول الأمر إلى أن يحضر الكحال.

إذا حدث فى الأذن الوجع من مادة حريفة حادة، فصب فيهــا دهــن ورد فاتر ودعه ساعة وصبه ونشفه وأعد عليه، أو بياض البــيض الرقيــق مفتراً أو لبن جارية، وإن كان فيها ورم، فأدف قليلاً من مرهم باسليقون مع دهن الورد وقطر فيها، وإن كان الورم من برد أو ريح باردة، فقطــر فيهــا دهن الناردين، أو بل قطنة بخل خمر وبورق فاجعله فــى الأذن، وإن ســال منها مدة، قطر فيها ماميثاً مدافاً بخل خمر.

وإذا انتهى الوجع وقد انحط، فضمده بدقيق شــعير وإكليــل الملــك مطبوخ بعقيد العنب، وقد يقطر فيه عصارة عنب الثعلــب أو دهــن اللــوز المروالمرارات، وأصلحها مــرارة المــاعز والبقــر والخنزيــر والقــبج، واخلط معها دهن ورد أو لوز أو لبن. والبول أقــوى شــيئ فــى تــسكين وجع الأذن، ويسكنه الفلغمونى ويقطع مــا يــسيل منــه بــسرعة وقــوة، فليستعمل على ذلك.

للقروح فــى الأذن: عدس مقشر وآس يابس، واقماع الرمان وعفص فج وثمر عوسج، يطبخ بماء حتى يقوى، ثم يغسل به الأذن مرات، ثم يجعل فيه شياف أبيض مدافاً بلبن جارية.

للرعاف: يطلى على الجبهة طين أو خزف محكوك قد سحق برطوبة بعض الأدوية الباردة، ويدخل فى المنخرين فتيلة قد لوثت فى كندر مسحوق قد بل قبل ذلك بماء الكراث، وشد بعضديه والساقين وصب الماء البارد على الرأس والماورد.

إذا تآكل الضرس فاسحق الشونيز بخل ثقيف واحـــش بـــه أكالـــه، وإن كان وجعه من برد فامضغ عليه العاقرقرجها والميويزج، ويمـــضمض بسكنجبين أو ماء عسل قد طبخ فيه زوفا وفوتنج برى، وإن كان من حر فماء الورد وماء السماق والخل موافق له، وإن كان يجد فى الأسنان برداً شـــديداً فليجعل عليه ورق الغار وحبه مسحوقين بالسوية.

إن نشب فى الحلق شوك فخذ لحماً فشرحه وشد فيه خيطـــا وثيقـــاً، ومره أن يبتلعه، ثم اجذبه فإن لم يخرج فأعده مرات وأعطه جـــوف الخبـــز اللين يبلعه والتين اليابس بعد المضغ قليلاً وغرغره بميفختج قد طبخ فيه تين وخلط به جميز، وربما خرج بالقيئ، وإن كـــان صـــلباً كـــالنواة والحجـــر، فاضربه ضربة على قفاه فإنه يندر.

فى علاج قرحة الرئة مع حمى، تسكن الحمى مرة بالتطفئة والتبريد والترطيب، وأخرى بتجفيف القرحة، واعلم أن القرحة الحادثة من التآكـــل لا تبرأ؛ لأن مثل هذه القرحة تحتاج إلى مدة طويلة فى برئها وفى هذه المدة إما أن يكون بتعفن ويتصلب فتتآكل الرئة كلها، وإما أن وقت التآكل جفت الرئة وصلبت وصارت فى حد ما لا يمكن أن تلتحم.

واعلم أن القرحة الحادثة من آكال إن لم تتـــدراك ســـريعاً ابتـــداءً، آلت إلى ما ذكرنا من السل فإذا كان كذلك أعنى إذا لم تعالج التى عن آكالها سريعاً، فاقبل عليها بما تجففها ما أمكن لئلا تتآكل الرئة كلها.

وأما من حدث به السل من قرحة فجفف ما أمكن بالأدوية، وبالضماد يضمد الصدر بالصبر والمر والأقاقيا وجوز الـــسرو والرامـــك والكهربـــاء ورماد كرنب، وأدهنه بدهن آسن أو بدهن ورد، وإذا كانت حـــرارة فـــورق الخلاف والطرفا والورد والصندل.

إن حمض الطعام فى المعدة فاعطه عند النـوم مـن هـذا الـدواء: فلفل أبيض درهم، بزر شبت كمون ربع درهم، فلفل أحمر منزوع الأقمـاع نصف درهم يسحق <الجميع> وينخل بحريرة، الشربة نصف درهم بشراب ممزوج.

فإن كانت المعدة باردة وكان يتولد فيها بلغم غليظ سقى الـسكنجبين على هذه الصفة: يكون كثير الأصول مع صبر ويكون الخل والماء رطـلاً والأصول نصف رطل يطبخ ويلقى بعد ذلك لكل جزء جزء من عسل ويطبخ ويجعل فيه من الصبر ثلاث أواق، وهذا نافع للشويخ والبلغم الغليظ.

ومن فسد الطعام فى معدته ولم تدفعه الطبيعة فاسقه كمونـاً علـى قدر احتماله فإن كان الطعام يفسد كثيراً فى معدته فاسقه على الريق بعـض الأشربة الحلوة كالجلاب والفقاع بالعسل وماء العسل، ثـم انفـضه أيـضاً بإيارج فيقرا.

دواء للفواق البارد الحادث عن امتلاء: بصل الفـار أوقيتـان بـزر الرازيانج بزر الكرفس نانخواه زنجبيل عاقرقرحا زوفا يابس سنبل رومـى سذاب كاشم فوتنج جرف جعدة قسط مر وحلو وأسارون حماما سنبل الطيب من كل واحد أوقية يلقى فى عشرة أرطال من خل ويسقى منه بعد أسـبوع جرعتين أو ثلاثا.

إذا كان القيئ من أخلاط غليظة لحجت فى المعدة فلطف بـسكنجبين قد أنقع فيه فجل، وبالفجل والعسل وقيئه، وينفع حب الأرياج، فإن كان فضل رقيق فبالسكنجبين فإنه يفى بتنقيته، وإن كان من مرار أصفر فـالقيئ جيـد ويسكن بماء الزمان وسويق التفاح والرمان وهذا الشراب: ماء رمـان مـز رطل، ماء نعنع ربع رطل سكر ثلث رطل يطبخ حتى يصير له قوام ويسقى منه فإنه يقوى المعدة ويذهب بالقيئ.

يحل النفخ فى المعدة بالتكميد بالجاورس ويسقى طبيخ الفودنج النهرى مع عسل، وإن كان ذلك لبرد المعدة فالشراب الصرف نافع بعد تناول شيئ يسير من طعام وينام بعد الشراب، ومما يحلل الرياح الكمون إذا قلى ويشرب بشراب ممزوج، وبزر الرازيانج والكرفس الجبلى والأنيسون وإن طبخت فى الدهن ومرخ به البطن، وطبيخ السذاب والشونيز بالدهن ينطل على البطن.

وإذا كان الوجع شديد فبالحقن من التى تطبخ فيها البزور المحللة للرياح، ومتى أردته أقوى فاجعل فيه الجندبادستر وأطعمه من القنابر إسفيدباجا بشبت وملح وكراث نبطى، وإن كان الوجع ليس بالشديد فهو فضل غليظ لزج بارد فإيارج مع غاريقون وبناست ومقل اليهود وماء الأصول أو دهن الخروع والحقن بالأدوية التى يقع فيها السكبينج والجوشير.

شرب الماء الكثير دفعة بعقب الحمام والرياضة يورث الحبن وأكل الأشياء الحلوة والحامضة واللزجة تهيج جميع الأحشاء وتولد سدداً ولا يجب أن يدهن لأنه يرخى الأحشاء.

إذا حدث فى الكبد ورم حار تبعه لا محالة حمى فانظر فإن كان السن والزمان ممكناً فافصد الباسليق الإبطى من الأيمن وألزمه سكنجبيناً وماء شعير وحرك الطبيعة باللبلاب ونحوه، ويستعمل أيضاً الحقن اللينة، فإن كان فى الكبد وجع من غير حمى فإن ذلك من أجل سدد لازمة فاستعمل ماء الأصلين واجعل فيه شيئاً من أسارون وسنبل رومى وفقاح الإذخر وبطراساليون وحرك البطن بطبيخ الأفتيمون والبسابائج والزوفا، ومما يفتح السدد ويقوى الكبد: حشيش الغافت وعصارته، وضمد الكبد الحارة بالباردة كالصندلين والنيلوفر وبنفسج وشعير.

ومما لا شك فيه أن الأتباع الذين عملوا مع حنين بن اسحق في "بيت الحكمة" شكلوا مدرسة ذات طابع مميز . والمدرسة هنا نشأت داخل العمل الذى ترأسه حنين ، والذى أنبثق عن الدولة أصلا . وربما جاءت الإشارات التى أوردتها الكتابات المختلفة لتؤكد أن قوام التلاميذ الذين التفوا حول الاستاذ وعملوا معه يتراوح عددهم بين التسعين والمائة(1).

ثانيا : مدرسة ثابت بن قرة :

إذا كان جُل عمل مدرسة حنين بن اسحق قد انصب على ترجمة ونقل المؤلفات الطبية ، فضلا عن بعض الترجمات الفلسفية وغيرها، فإن مدرسة ثابت بن قرة ، وإن كانت قد قامت بنقل بعض المؤلفات الطبية والفلسفية والمنطقية ، إلا أن عملها الأساسي قد أنصب على ترجمة المؤلفات الرياضية (الحساب والهندسة). وبذلك يمكن اعتبار هذه المدرسة "مدرسة ترجمة رياضية" فى مقابل "مدرسة ترجمة حنين الطبية".

وتتضح أهمية مدرسة ثابت بن قرة باعتبارها حلقة معرفية مهمة من حلقات تاريخ العلم العربى ، إذ وضعت أمام المؤلفين العرب فى الرياضيات فيما بعد ، ما ترجمته من رياضيات الأمم الأخرى . وقد مثلت المؤلفات المنقولة نقطة بداية المؤلفين العرب والمسلمين الذين درسوها ، ووقفوا على ما فيها ، ثم جاءوا بابتكاراتهم الخاصة .

فلقد وضع رئيس المدرسة ثابت بن قرة أسساً معينة سار عليها هو وأعضاء مدرسته ، منها ضرورة تحصيل العلم الى حد الوصول الى درجة الاتقان إذا استطاع الفرد ، وإجادة لغات الأمم الأخرى التى يتم النقل منها ، فضلا عن إجادة اللغة العربية طبعا . ويبدو أن هذه الأسس قد عملت بها

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق ، ص 148.

معظم مدارس الترجمة ، يدلنا على ذلك أن من تضلع فى ترجمة علـــم مـــن العلوم، كان عالماً فيه، فحنين بن اسحق كان طبيباً بارعاً، وثابت بن قرة كان طبيباً ومهندساً حاذقاً ... الخ .

ويمكن الإشارة الى بنية مدرسة ثابت بن قرة فيما يلى :

1ـ رئيس المدرسة ثابت بن قرة (221 - 288هـ/835 - 900م)[1]:

هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن ثابـــت .... الحرانـــى الـــصابئ[2]. كان صيرفيا بحران ، استصحبه محمد بن موسى بن شاكر ، لما انـــصرف من بلد الروم لأنه رآه فصيحا، فتعلم فى داره، ثم أوصله بالمعتضد، وأدخله فى جملة المنجمين[3].وكان ثابت حكيماً فى أجزاء علوم الحكمة[4]، ولم يكن فى زمانه من يماثله فى صناعة الطب ولا فى غيـــره مـــن جميـــع أجـــزاء الفلسفة[5]، فكان له براعة فى المنطق والتنجيم والهيئة والحساب والهندســـة. وذكر ابن جلجل[6] أن له كتباً كثيرة فى هذه الفنون ، منها كتاب مدخل الـــى كتاب أقليدس عجيب ، وهو – أى ثابت – من المتقدمين فى علمـــه جـــداً . ويؤيد ذلك ما ذكره الشهرزورى[7] من أنه جرى عند ثابت ذكر فيثـــاغورث وأصحابه ، وتعظيم العدد الذى لا يُفهم معناه . فقال: إن الرجل وشيعته أجل قدراً وأعظم شأناً من أن يقع لهم سهو أو خطأ فى معرفة الأمور العقليـــة ،

---

(1) انفرد أبى أصيبعة بذكر مولده سنة 211 هـــ .

(2) نسبة الى صاب أو طاط ابن نبى الله ابن نبى الله إدريـــس عليـــه الـــسلام (عيـــون الأنبـــاء ص 295) وكان ثابت رئيس الصابئة ببغداد فى زمانه .

(3) ابن النديم ، الفهرست ص 380 ، والقفطى ، الأخبار ، ص 81.

(4) الشهرزورى تواريخ الحكماء ، ص 595.

(5) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 75.

(6) طبقات الأطباء والحكماء ، ص 75.

(7) نزهة الأرواح ... ص 595 – 596.

فيجوز أن يكونوا قد وقفوا من طبيعة العدد علـــى أســرار لـــم تنتـــه الينـــا لانقراضها .

وخلاصة القول فى ثابت أنه قد بلغ فى تحصيل العلوم شأنا عظيمـــاً الى الدرجة التى معها نال تبجيل وتوقير المعتضد له . وليس أدل على ذلـــك من انه طاف معه فى بستان ويد الخليفة على يد ثابت ، فانتزع يده بغتة من يد ثابت ، ففزع الأخير ، فقال الخليفة : يا ثابت أخطأت حين وضعت يـــدى على يدك وسهوت ، فإن العلم يعلو ولا يُعلى عليه[1]. وكان ثابـــت يجلـــس بحضرته ويحادثه طويلا ويقبل عليه دون وزرائه وخاصته[2].

وكان ثابت بن قرة من مشاهير نقلة العلوم فى الإسلام فكـــان جيـــد النقل الى العربية ، حسن العبارة ، قوى المعرفة باللغة السريانية وغيرها[3]. ويشهد على ذلك كثرة مصنفاته التى ورد ذكر أسمائها فى معظم كتب التراث التى أرخت له. فذكر له ابن جلجل[4] كتابا واحداً هو " مـــدخل الـــى كتـــاب أُقليدس". وذكر له ابن النديم[5] أربعة عشر كتاباً ورسالة . وعدد له القفطى[6] مائة وخمسة عشر كتاباً ورسالة . بينما انفرد ابن أبى أصيبعة[7] بإيراد ثبت مطول لأعمال ثابت بن قرة يشتمل على مؤلفاته الشخصية ، وما قام بنقله من اليونانية والسريانية ، وذلك فى فنون شتى مثل الطب والفلـــسفة والمنطـــق والرياضة والفلك والموسيقى ومذهب الصابئة.

---

(1) نزهة الأرواح، ص 595.

(2) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول دار الرائد اللبناني 1983 ، ص 265.

(3) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 295.

(4) طبقات الأطباء والحكماء ، ص 75.

(5) الفهرست ، ص 318 ، 384.

(6) الأخبار ، ص 81 – 82.

(7) عيون الأنباء ، ص 289 – 300.

يقول صاحب عيون الأنباء[1] عن أعضاء جماعة ثابت بـن قـرة : وكذلك جاءت جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر فى العلوم . ويمكن الإشارة الى بعض هؤلاء الأعضاء فيما يأتى :

2ـ أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة (ت 331 هـ / 942 م) :

ابن ثابت بن قرة ، كان يلحق بأبيه فى معرفته بالعلوم واشتغاله بهـا وتمهره فى صناعة الطب[2]. فكان طبيباً مقدماً[3] وله قوة بالغـة فـى علـم الهيئة[4] وله مؤلفات كثيرة[5] ونقولات وترجمات من اليونانية والسريانية الى العربية . فقد نقل[6]: نواميس هرمس والسور والصلوات التى يـصلى بهـا الصابئون. إصلاحه لكتاب فى الأصول الهندسية، وزاد فى هذا الكتاب شـيئاً كثيراً. مقالة أنفذها الى الملك عضد الدولة فـى الأشـكال ذوات الخطـوط المستقيمة التى تقع فى الدائرة ، وعليها استخراجه للشئ الكثير من المـسائل الهندسية. إصلاحه لعبارة أبى سهل الكوهى فى جميع كتبه ، بسؤال أبى سهل

---

(1) نفس المرجع ، ص 300.

(2) عيون الأنباء ص 300.

(3) الفهرست ص 421.

(4) عيون الأنباء ص 300.

(5) وهى: أ–رسالة فى تاريخ ملوك السريانيين. ب– رسالة فى الأستواء . جـ–رسالة فى سهيل. د–رسالة الى بحكم . هـ–رسالة الى ابن رايق . و– رسالة الى أبى الحـسن بـن عيـسى . ز– الرسائل السلطانيات والأخوانيات . ح– السيرة وهى فى أجزاء وتعرف بكتـاب النـاجى صنفه لعضد الدولة وتاج الملة ، تشتمل على مفاخرة ومفاخر الديلم وأنسابهم وذكر أصـولهم وأسلافهم . ط– رسالة فى النجوم . ى– رسالة فى شرح مذهب الصابئيين. ك– رسالة فـى قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة . ل– رسالة فى الفرق بـين المترسـل والـشاعر . م–رسالة فى أخبار آبائه وأجداده وسلفه (عيون الأنباء ص 304).

(6) عيون الأنباء ص 304.

منه ذلك . إصلاحه وتهذيبه لشئ نقله من كتاب يوسف القس من السرياني الى العربي من كتاب أرشميدس فى المثلثات .

3ـ عيسى بن أسيد:

كان ثابت يقدمه ويفضله . وقد نقل عيسى من السريانى الى العربى بحضرة ثابت . كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى بن أسيد(1). ونقل له كتاب الوقفات التى فى السكون الذى بين حركتى الشريان المتضادتين(2).

ثالثا : مدرسة بختيشوع

من أهم العائلات التى قدمت الى بغداد ، ولعبت دورا مهماً فى حركة الترجمة ، وتكاد تكون هى الجماعة الوحيدة التى انفردت بالترجمة الطبية دون غيرها، ساعدها على ذلك أن جميع أفرادها كانوا أطباء مهرة.

كما أختصت الجماعة بنوع آخر من العمل العلمى ، وهو التعليم الطبى " ففى عهد أبى جعفر المنصور نعهد كتب التاريخ الطبى تذكر لنا أن جورجيس بن بختيشوع جاء الى بغداد واتصل بالخليفة .

كما أن جبريل بن بختيشوع لعب دوراً هاماً فى التعليم الطبى كذلك(3).

---

(1) الفهرست ص 380.

(2) عيون الأنباء ص 298.

وهناك من نسل ثابت بن قرة أيضا : أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة (ت 365/975م) كان طبيباً محذقاً (الفهرست 421) فاضلا يلحق بأبيه فى صناعة الطب (عيون الأنباء 304) عالما بأصوله فكاكاً للمشكلات من الكتب . وكان يتولى تدبير المارستان ببغداد فى وقته (الأخبار 77) . ولم تذكر معظم المصادر التاريخية لثابت هذا من الكتب سوى كتاب التاريخ المشهور فى الآفاق ... وهو من سنة خمس وتسعين ومائتين الى حين وفاته . ولم تشر معظم المصادر أيضاً الى أى جهود له فى مجال الترجمة .

(3) د. ماهر عبد القادر محمد، مقدمة فى تاريخ الطب العربى ، ص 23.

ونشير فيما يلي الى بنية (أفراد) مدرسة بختيشوع وجهودهـا فـي حركة الترجمة.

1ـ جورجيس بن بختيشوع

رئيس أطباء جنديسابور ، استقدمه الخليفة المنصور الـى بغـداد ، وصار طبيبه الخاص الى أن توفى فى خلافته . ونقل له كتبـاً كثيـرة مـن اليونانية الى العربية. لكن صاحب هذه الرواية[1] لم يذكر أيا من أسماء الكتب التى نقلها. فى حين يذكر له بعض الكتب المؤلفة مثل[2]: رسالة الى المأمون فى المطعم والمشرب. كتاب المدخل الى صناعة المنطـق. كتـاب البـاه. رسالة مختصرة فى الطب . كُناشه . كتاب فى صنعة البخور، ألفه لعبـد الله المأمون . وذكر له ابن النديم[3]كتاب الكُناش المعروف .

2ـ بختيشوع بن جورجيس

ويكنى أبا جبريل ، استقدمه الخليفة المهدى من جنديـسابور ليحـل محل أبيه جورجيس ، فظل فى خدمته وخدمة الهادى والرشيد[4]. وكان طبيباً حاذقاً . ولما ملك الواثق الأمر كان محمد بن عبد الملك الزيات ، وابن أبـي داود يعاديان بختيشوع، وكان يضرمان عليه الواثق حتى نكبه وقبض أملاكه ونفاه الى جنديسابور. ولما اعتل الواثق بالاستسقاء وبلغ الشدة فى مرضه ، أنفذ من يحضر بختيشوع ، فمات الواثق قبل أن يوافى بختيشوع . ولما ولى المتوكل صلحت حال بختيشوع حتى بلغ فى الجلالة ، والرفعـة ، وعظـم

---

(1) ابن أبى أصبيعة ، عيون الأنباء ، ص 183.
(2) نفس المصدر ، ص 201.
(3) الفهرست ، ص 412.
(4) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، هامش ص 64.

المنزلة ، وحسن الحال ، وكثرة المال ، وكمال المروءة ، ومبارة الخليفة فى اللباس والزي والطيب والفرش والتفسح فى النفقات مبلغاً يفوق الوصف[1].

وفيما يتعلق بدوره فى حركة الترجمة ذكر ابـــن أبـــى أصـــبيعة[2] أن حنيناً بن اسحق نقل له كتباً كثيرة من كتب جالينوس الى اللغة الـــسريانية والعربية . وسوف نعود الى هذا النص فى موضع لاحق .

وقد أسهم بختيشوع أيضاً فى حركة التعليم الطبي - كبـــاقى أفـــراد الجماعة - يدلنا على ذلك أن ما ذُكر له من الكتب ، كتابان تعليميان ، هما: كتاب التذكرة ، عمله لابنه جبريل[3]. كتاب فى الحجامة على طريق السؤال والجواب[4].

3ـ جبرائيل بن بختيشوع

كان فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب ، جيداً فى أعمالـــه ، حـــسن الدراية بها . يذكر ابنه عبيد الله فى كتاب له أن أبيه " جبرائيل " قصد طبيباً من أطباء المقتدر وخواصه كان يعرف بترمزه ، فلازمه وقرأ عليه، وقـــرأ على يوسف الواسطى الطبيب ، ولازم البيمارستان والعلم والدرس[5] فنبغ فى حياة أبيه وصار طبيباً لجعفر البرمكى ، حتى قدمه الى الخليفة الرشيد فصار طبيبه الخاص ونزل لديه منزلة ممتازة وجعله رئيسياً للأطباء. وظل علـــى ذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفى فى خلافته[6].

---

(1) القفطى ، الأخبار ، ص 72.

(2) عيون الأنباء ، ص 258 - 259.

(3) الفهرست ، ص 413.

(4) عيون الأنباء ، ص 209.

(5) نفس المصدر ، ص 209 - 210.

(6) ابن جلجل ، الطبقات ، ص 64.

ومما يدل على تضلع جبرائيل، أنه شارك فـــى نـــوع معـــين مـــن النشاطات العلمية التى انتعشت فى العالم الإسلامى آنـــذاك، وأعنـــى بهـــا، مجالس المناظرات التى كانت تعقد لامتحان أحد العلماء فى علمه بحـــضرة الخليفة أو أحد الوزراء.

ومن أخبار جبرائيل فى هذا النوع المميز من النشاط العلمى ما روى عن الصاحب بن العباد أنه عرض له مرض صعب، فأمر عضد الدولة بجمع الأطباء البغداديين وشاروهم فيمن يصلح أن ينفذ إليه، فأشار الجميع – على سبيل الأبعاد له من بينهم وحسداً على تقدمه – إلى جبرائيل بن بختيشوع .. فاستدعاه عضد الدولة .. وقد أعد عنده أهل العلم من أصناف العلوم، ورتب لمناظراته إنساناً من أهل الرأى، فقرأ طرفاً من الطب، وسأل جبرائيل عـــن أشياء من أمر النبض. فبدأ (جبرائيل) وشرح أكثر مما تحتمله المسألة، وعلل تعليلات لم يكن فى الجماعة من سمع بها، وأورد شكوكاً ملاحاً وحلها، فلـــم يكن فى الحضور إلا أكرمه وعظمه، وخلع عليه الـــصاحب خلعـــاً حـــسنة، وسأله أن يعمل له كناشاً يختص بذكر الأمراض التى تعرض من الرأس إلى القدم ولا يخلط بها غيرها. فعمل كناشه الصغير وهو مقصور علـــى ذكـــر الأمراض العارضة من الرأس إلى القدم حسبما أمره الصاحب بـــه وحملـــه إليه، فحسن موقعه عنده ووصله بشيئ قيمته ألف دينار، وكان يقول دائمـــاً: "صنفت مائتى ورقة أخذت عنها ألف دينار"[1].

وهاك تضلع علمى أفظع عرُف به جبرائيل، فقد بلغ به العلم حداً إلى الدرجة التى معها كان يناظر، ويجـــادل لا فـــرداً واحـــداً، بـــل مجموعـــة من الأفراد قد يصل عـــددهم إلـــى عـــشرة. فمـــن أخبـــار جبرائيـــل أنـــه اجتمع فى بعض الأوقات مع عشرة أطباء من أهـــل زمانـــه، وفـــيهم داوود

---

(1) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص211– 212 بتصرف.

ابن سرافيون وتحادثوا طويلاً وجرى حديث شرب الماء عند الانتباه من النوم فقال داوود بن سرافيون: ما فى الدنيا أحمق ممن يشرب الماء عند الانتباه من نومه: فقال جبرائيل: أحمق منه من يتضرم نار على كبده فلا يطفئها. فقال غلام: فكأنك تطلق شرب الماء عند الانتباه من النوم. فقال له جبرائيل: أما محرور المعدة ومن أكل طعاماً مالحاً، فأطلقه له وأمنع مرطوبى المعدة، وأصحاب البلغم المالح فإن فى منعهم شفاء لما يجدونه، فقال الحدث: وقد بقيت الآن واحدة، وهى كيف يفهم العطشان من الطب مثل فهمك فيعرف عطشه من مرارة أو من بلغم مالح، فضحك جبرائيل، وقال متى عطشت ليلاً فأبرز رجلك من دثارك، فأصبر قليلاً، فإن تزيد عطشك فهو من حرارة أو من طعام تحتاج إلى شرب الماء عليه، فأشرب، وإن نقص عطشك، فامسك عن شرب الماء، فإنه بلغم مالح[1].

ولجبرائيل من الكتب: كناشه الكبير الملقب بالكافى. رسالة فى عصب العين . مقالة فى ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيافرغما[2]. الروضة الطبية، نشره بول سباط سنة 1927، وكتابه "مقالة فى العين" الذى رأى سباط مخطوطته فى مكتبة الجراح الخاصة بحلب.

تكاد تكون مؤلفات عائلة بختيشوع غائبة أو مفقودة، ومن أحسن السبل التى تساعد على الوقوف على نصوص منها "حاوى" الرازى، فلقد اقتبس الرازى من مؤلفات العائلة كثير من النصوص، ودوّنها منسوبة إلى أصحابها فى موسوعته الأهم، الحاوى، ومنها ما يلى[3]:

---

(1) القفطى، الأخبار، ص101.

(2) عيون الأنباء ، ص 214.

(3) خالد حربى، أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (6) آل بختيشوع، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة، ط. الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية2010، ص11.

جورجس، اعتمد فى الفالج على النفض كل أسبوع بالقوقايا وجوارش البلاذركل يوم، وإيارج ترمس فيكون هذا للنفض، وذلك لتبديل المزاج فإنـك لا تلبث إلا مديدة حتى يصلح مع المسح بدهن القسط، فإن كانت الحواس مع الفالج مظلمة فمل إلى الغرورو والسعوط، وامرخ الهامة بدهن القسط، ولطف الأغذية، واجعل الشراب ماء العسل، وخمرا عتيقاً.

الداء الذى يسمى أم الصبيان إنما هو تشنج يعرض مع حمى محرقة يابسة قشفة، ويكون البول مع ذلك أبيض. والصغار يـصلون [إليـه] أكثـر لرطوبة عصبهم، ومن جاوز سبع سنين ثم حدث عليه منه شيئ قوى لم يغلب منه، فعليك بالآبزن وحلب اللبن.

الداء الذى يسمى أم الصبيان إنما هو تشنج يعرض مع حمى محرقة يابسة قشفة، ويكون البول مع ذلك أبيض. والصغار يـصلون [إليـه] أكثـر لرطوبة عصبهم، ومن جاوز سبع سنين ثم حدث عليه منه شيئ قوى لم يغلب منه، فعليك بالآبزن وحلب اللبن على الرأس والسعوط بدهن الورد والقـرع والبنفسج ولبن جارية، ولا تفارق الهامة الدهن واللبن ويضمد خرز الـصلب كله والعنق بالخطمى، ودهن بنفسج، ودقيق بزر الكتان يفتر ويوضع عليـه، ومتى برد مرخ بدهن بنفسج مفتر، وأسخن الضماد وأعده عليـه ويـسقى، أو تسقى المرضعة ما تسقى فى الأمراض الحادة وليكن فـى موضـع فيـه سرداب أو ما يعدله فى البرد والرطوبة. وإن كان الـصداع يخـف ويهـيج ويكثر بعقب التخم والشراب، ويهيج أكثر ذلك بالغـدوات والأيـام البـاردة، والجشاء فاسد ويقيئ بلغما ومرة فالآفة من المعدة، وإن كان دائمـاً وكثيـر السيلان من مجارى الدماغ، وكان فى العين ظلمة أو دمعة، وكثـرة النـوم، والكسل، فإن ذلك خاص بالدماغ، وعلاجها جميعاً التلطيف والإسهال بحـب الصبر، والسعوط بمرارة الكركى والثليثا والموميـاء، ويـضمد الـصدغان

بضماد المرزنجوش، وورق الغار والشبت ونحوه فعالجه بهذا العلاج ثلاثة أيام، فهذا علاج الصداع الذى مع ثقل وبرد.

بختيشوع: ضماد نافع لوجع العين المفرد، صفار بيض مسلوق ودهن ورد، وزعفران، وحماما يضمد به فيسكن الوجع الشديد جداً.

يجب أن لقط السبل، مضغ ملح وكمون وقطر فيه بخرقة، ويضمد بصفرة البيض، وينبغى أن يحرك العليل عينيه برفق إلى كل ناحية، لئلا يتشنج وينقبض إلى "جانب واحد" ويكحل من غد بالأقراماطيقان الأكبر، ثم بعد ذلك بالأشياف.

ينفع من العشاء فصد القيفال، ثم فصد الآماق والإسهال والحقن الحادة، ثم الحجامة على القفاء، والعلق على الأصداغ، والأغذية اللطيفة السريعة الهضم، والأدوية المعطسة فى آخر الأمر، والقيىء على الريق، والأكحال الجالية بعد هذه الأشياء.

إن الانتشار من ضربة، وهذا يعمل بخاصيته وينفعه الورد الرطب واليابس، والصندل، والفلفل، والقرنفل، والنيلوفر، وورق الخلاف نافع جداً، ورهرته، فإذا سكنت الحدة فدقيق الباقلى بالشراب يعجن ويوضع عليه، وإنه نافع للانتشار.

إن حُشى بالآس ناصور العين أبرأه: الجوز الفج يحشى به ناصور العين يبرئه إن شاء الله.

جبرائيل يشدد ويجلو ويطيب، دقيق شعير وملح عجين بالسوية يلت بعسل ويعجن بمطبوخ ويحانى وقطران شامى ويخبز فى تنور على آجرة حتى يحرق ويسحق ويلقى عليه وزن عشرين درهماً كزبارك، وسعد وفوفل

أربعة دراهم، زنجبيل أربعة دراهم ويستعمل، ويسكن الضرس المأكول أن يحشوه بأفيون أو فلونيا.

بختشيوع: يجعل فى الأكال حلتيت يسكن من ساعته ويجعل فيه موم لئلا ينحل وكذلك الجاوشير.

جورجس: الورم فى الحلق إما من ورم، يظن صاحبه أن فمه مملوؤة خمراً عتيقاً أو من صفراء، ويظن أن فى حلقه خلا حاذقاً، أو من بلغم ويظن أن فى فمه ملحاً أو بورقاً ولا يكون من المرة السوداء <و> لا يعرض بسرعة لكنه يجئ أولاً فأولاً.

بختيشوع للسل العتيق وللحدبة وهو أجود شيئ له: يطبخ له كل يوم سرطان مع ماء الشعير، وطعامه مح بيض وأسفيدباج لين بشحم دجاج ودهن لوز ويجلس فى الآبزن بعد الطعام قليلاً لا يطيل وليمرخ بعد بدهن بنفسج.

جبريل: جربت للفواق الذى بالمبطون من خلاء: شخزنايا بماء بارد فوجدته نافعاً، والقرع أيضاً ينفع، والصبر على العطش يقطعه، وينفع من الفواق الذى من اختلاف واستفراغ: لعاب بزرقطونا وماء الصمغ العربى وبزركتان وبزر مر ونحوها يسقى مرات بالنهار ويحل صمغ ثلاثة دراهم فى ماء حار ويسقى منه.

بختيشوع: الكرسنة إذا قليت وطحنت وأخذ منها كالجوزة معجونة بعسل نفعت من الهزال، وماء لسان الحمل نافع لمن غلب على مزاجه اليبس، وكذلك السمك الطرى والقرع والسويق وخاصة فى الصيف.

جورجس: إذا كان الوجع فى العانة فإنه قولنج، وإذا كان فى ناحية الظهر فإنه وجع الكلى.

ضماد نافع من القولنج الشديد: متخذ بأفيون وخبز ولبن وزعفران، وإذا اشتد القيئ فاسقه رب الرمان بالنعنع.

حقنة نافعة من السحج الطرى، صفار ثلاث بيضات غير مسلوقة تسحق فى هاون نظيف مع أوقية دهن ورد خام ونصف درهم مرداسنج ودرهم ونصف اسفيداج، ثم يفتر <المجموع> ويحقن <به>.

جبريل: دواء خاص بالاختلاف الكائن عن الكبد الشبية بماء اللحم، ورد صندل، سعد، قصب الزريرة أجزاء سواء يعجن بماء أطراف الآس أو برب الحصرم وتضمد <به> الكبد ويسقى رب الريباس ورب السلق، وأقراص الزرانيخ تنفع من الخلفة التى تكون من أجل البواسير وكل خلفة عتيقة.

جورجس: اسق العليل فى الحبن الزقى لبن الإبل مع أبوالها، رطلين لبن وأوقية من بولها ويتمشى قليلاً، ثم ينام وزده حتى يبلغ ثمانية أرطال فإن رأيت أنه يمشيه فلا ترد على أوقية بول، فإن لم يسهله فلا تسقه فإنه غير ملائم له، واخلط به إهليلجاً وسكراً فإن أمكن أن يأكل كل يوم مرتين فذلك، وإلا فليأكل خبزاً مثروداً فى شراب لطيف أو ماء ولحم دجاج، إن أكل لحماً لضعفه أعطه يوماً دراجاً ويوماً خبزاً ومأقا يابساً قد أنقع بطلاء ممزوج، فإذا سقيته أسبوعين ونفض الماء كله فاكوه على البطن ولا تؤخره أكثر من عشرة أيام لئلا يقبل بعد ذلك الماء.

والحبن يعرض إما ليرقان كبدى حدث أو حميات طويلة دامت أو لكثرة شرب الماء البارد أو لكثرة التخم، فالكى ينفع اللحمى وربما نفع الزقى.

بختيشوع: أقراص تسمى العجلانية نافعة جداً من الاستسقاء: لحاء عروق شبرم هليلج أصفر بالسوية ينخل <المجموع> بحريرة ويعجن بماء الهندباء ويوضع فى صلابة ويقرص من دانق ويسقى كل يوم قرصة مع درهمى سكر أبيض.

جبريل: من أجود ما وجدنا للطحال أن يسقى وزن خمسين درهماً من بزر الفنجنكشت وثلاثين درهماً من قشور أصل الكبر ينقع بخل ثقيف أسبوعاً <و> يجدد ذلك كل يوم ويجفف فى الظل، ثم يسحق ويسقى كل يوم ثلاثة دراهم بسكنجبين مغلى فإنه أجود شيئ عملناه للطحال.

جورجس: إذا كثرت الحرارة والدم فى القلب كثر الغشى، فعالجه بالفصد والإسهال والأغذية اللطيفة المطفئة وماء الشعير ونحوه، وإن كان فيه سوء مزاج بارد فإنه يجمد النبض، فعالجه بدواء المسك، وجوارش العنبر، وجوارش كسرى جيد بالغ وهو أفضلها، ودواء قباد الملك والحمام والطيب والشراب الريحانى.

بختيشوع: الهندباء متى دق <و> ضمد به القلب نفع من الخفقان، وكذلك الفودنج والسنبل إذا شرب نفع من الخفقان.

جورجس: علامات ضعف الكبد قلة الشهوة وتغير اللون إلى الخضرة والصفرة والبياض والقيئ المرى ويبس اللسان وسواده ووجع فى الأضلاع اليمنى والتراقى مع سعلة وبياض الشفة ومرارة الفم وتهيج الوجه وينفع ضماد الاصطماخيقون إذا برد الكبد برداً شديداً، وضماد الصندلين إذا كان حاراً، والهندباء وخيارشنبر وعنب الثعلب للحارة، وماء الأصول ودواء اللك للبرودة وهو أحمر.

نقد وتقييم:

بعد هذه الجولة السريعة الموجزة التى أشارت الى بعض أعضاء أشهر مدارس عصر الترجمة ، يمكن أن نضع الصورة النهائية لهذا الموضوع فى نقاط محددة فيما يلي :

شهد المجتمع الإسلامي إبان عصر الترجمة الرسمي وجود مدارس علمية أساسها الأفراد . فلقد رأينا ومدرسة حنين بن اسحق بأعضائها الذين يشكلون أساس هذه المدرسة (حنين – ابنه اسحق – حبيش بن الأعسم ... وغيرهم) ومدرسة ثابت بن قرة بأعضائها (ثابت – ابنه سنان – عيسى بن أسيد النصرانى) ومدرسة أسرة بختيشوع بأعضائها (جورجيس – بختيشوع – جبرائيل) . وقد رأينا كيف لعبت تلك المدارس العلمية دوراً بارزاً وملموساً فى نقل كثير من علوم الأمم الأخرى الى العالم الإسلامى .

إن أهمية هذه المدارس إنما تقاس أو تحدد بمقدار الناتج العلمى لعمل الجماعة والمدرسة ككل ، وأثر ذلك على الأجيال العلمية اللاحقة . وأعمال جماعات ومدارس الترجمة التى تناولناها إنما تمثل النصيب الأكبر من حركة الترجمة ككل ، وذلك بفضل العمل الجماعى الذى يأتى انتاجه دائماً أكبر بكثير من إنتاج الجهود الفردية .

وفى البنية الداخلية لكل مدرسة وجدنا – بالإضافة الى سيادة مبدأ التعاون بن الأفراد – إن أهم وأخطر الأعضاء هو رئيس المدرسة، وذلك إنما يرجع الى مسئوليته عن المدرسة كلها، فيقوم – فضلا عما كلف به نفسه من ترجمة وتأليف – بالإشراف والتوجيه ، ومراجعة أعمال أفراد المدرسة . فحنين بن اسحق مثلا الذى ترجم لجالينوس وحده ما يقرب من أثنين وتسعين مصنفاً باللغتين السريانية والعربية ، وخمسة عشر كتاباً لأبقراط بتفسير

جالينوس ، فضلا عن مؤلفاته الشخصية والتى تبلغ مائة مؤلف تبعاً لصاحب العيون[1] تبحث فى فروع المعرفة المختلفة وتدور فى الأغلب حول الطب ، والفلسفة ، والمنطق ، والتاريخ ، والديانات بوجه عام ، فهذا الكم الضخم من الأعمال – مع الأخذ فى الاعتبار مبالغة ابن ابى أصيبعة – لم يمنع حنين بن اسحق كرئيس لمدرسته من مباشرة أعمال أعضاء المدرسة ، بل ومراجعة وإصلاح بعضها . فقد أصلح لأبنه اسحق ترجمة أصطفن بن بسيل لكتاب علل النفس (لجالينوس) ، وأصلح ترجمة حبيش لكتاب منافع الأعضاء (لجالينوس) لإسقاط حبيش سبع عشرة مقالة من الكتاب، وأصلح أيضاً كتاب حيلة البرؤ الذى نقله حبيش بأكمله.

ومن الجدير بالأعتبار أن بعض المدارس قد ضمت أعضاءً من مدارس أخرى ، أو أفراداً لا ينتمون الى مدارس بالمعنى الواسع لمفهوم المدرسة . ومن ذلك أن رئيس " مدرسة حنين بن اسحق " وهو حنين قد تعلم على، واشتغل مع يوحنا بن ماسويه (ت 243 هـ / 857 م) وكان الأخير قد طرد حنيناً فى بداية الأمر من مجلسه زاعماً أنه لا يصلح للعلم. ويذكر صاحب العيون[2] أنه بعد اختفاء حنين عن يوحنا بن ماسويه لمدة عامين لم يسمع فيهما الثانى أى شئ عن الأول ، حدث أن وقع فى يد يوحنا بعض أعمال حنين المترجمة التى ترجمها وهو فى صحبة جبرائيل بن بختيشوع ، فما أن رآها يوحنا حتى أبدى تعجبه وقال لحاملها (وهو يوسف بن إبراهيم): أترى المسيح أوحى فى دهرنا هذا الى أحد ؟ فقال يوسف : ما أوحى فى هذا الدهر ولا فى غيره الى أحد ، ولا كان المسيح إلا أحد من يوحى إليه . واستطرد يوسف قائلاً : هذا إخراج حنين بن إسحق الذى طردته من منزلك.

---

(1) انظر ثبت هذه المؤلفات فى ابن أبى أصيبعة ، ص 255 وبعدها.

(2) عيون الأنباء ، ص 259.

فحلف بأن ما قاله له محال . ثم صدق القول بعد ذلك وأفضل عليه إفـضالا كثيراً .. فاشتغل عليه حنين بصناعة الطب ، ونقل له كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس ، بعضها الى اللغة السريانية ، وبعضها الى العربية .

وهنا نجد حنين بن اسحق قد طبق مبدءاً من أهم المبادئ التى تقـوم بين الأفراد والجماعات والمدارس ، وهو مبـدأ التنـافس " Competion " حيث جمع بينه وبين يوحنا بن ماسويه طبيعة مجتمعية واحدة ، وإطار ثقافى وأيديولوجى واحد ، وهذه الأمور من أبرز المستويات التى تعمل على تفسير السلوك التنافسي. كما يقترب حنين هنا من مفهوم الجيل الثورى الذى نـادى به توماس كون فى القرن العشرين .

وكذلك تعلم رئيس المدرسة الثانية " ثابت بن قرة " على محمد بـن موسى بن شاكر ، ثم تكونت مدريته من أعضائها المذكورين . أما مدرسـة أسرة بختيشوع ، فقد سبق أن ذكرنا أن حنيناً بن اسحق قد تعلم علـى أحـد أفرادها البارزين وهو بختيشوع ونقل له كتباً كثيرة من كتب جالبنوس الـى اللغة السريانية والعربية .

ومثل هذه الملاحظات التى وقفنا عليها فى تناولنا لمدارس الترجمـة إن دلت على شيئ ، فإنما تدل على مدى التواصل العلمى بين أفراد المدارس العلمية المختلفة ، وهذه حقيقة علمية ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار عند الحديث عن النهضة العلمية التى شهدها المجتمع الإسلامي فـى القـرون الهجريـة الأولى.

وبالبحث عن الهدف المشترك الذى يسعى الأعضاء الى تحقيقه مـن خلال انتمائهم الى المدارس العلمية ، وجدنا أن معظم أعضاء هذه المـدارس قد انتموا اليها رغبة فى العلم الذى خلع على أهله فى ذلك العـصر إجـلالاً وتوقيراً من العامة فضلاً عن الخاصة . وقد عُرف معظم خلفاء بنى العباسي

- لاسيما المأمون - بحبهم للعلم وأهله ، وتقريبهم للعلماء هؤلاء الذين رغبوا - الى جانب شغفهم بالعلم - فى عطايا الخلفاء والوزراء وهباتهم . وقد روى أن المأمون كان يعطى حنين بن اسحق وزن ما يترجمه ذهباً . وقد بلغ ما حصله بختيشوع بن جوريس من وراء الاشتغال بالعلم حداً الى درجة مباراة الخليفة فى اللباس والزى والطيب والفُرش والتفسح فى النفقات مبلغاً يفوق الوصف . وها هو الخليفة "المعتضد " يصرح بخطئه حين وضع يده فى يد " ثابت بن قرة "،وعلل ذلك بقوله : " إن العلم يعلو ولا يعلى عليه " . فأى تبجيل وتوقير ورفعة منزلة للعماء أكثر من ذلك ؟!

أما عن نمط عضوية الأفراد داخل المدرسة ، فلم نجد أيا من النصوص التى تشير الى أن أحد الأعضاء قد انتمى إجباريا الى مدرسته ، بل على العكس وجدنا أن نمط العضوية كان نابعاً من رغبة الأعضاء فى الانتماء الى المدرسة . وقد ساد بين أعضاء المدارس نظم من العلاقات قائمة على التعاون والمحبة تربطهم بعضهم ببعض من أجل تحقيق أهداف المدرسة ككل .

وإذا كانت الظروف المجتمعية قد ساعدت على ازدهار معظم المدارس العلمية ، فإنها نفسها كانت بمثابة معوقات أثرت فى نشاط بعض المدارس فى فترات معينة . ففى الوقت الذى نجد فيه الخليفة المأمون يشجع العلماء ويقربهم من بلاطه ، نجد المتوكل يتعمد إهانة بعض العلماء ويعمل على إذلالهم . وقد حدث ذلك مع رئيس مدرسة الترجمة الأولى "حنين بن اسحق" الذى نال إذلال المتوكل له بحبسه وضربه ومنعه من مزاولة نشاطه العلمى ، وكان ذلك بسبب مكيدة دبرها له الحاسدون والجاحدون عليه من أعدائه . يقول حنين : " أنه لحقنى من أعدائي ومضطهدى الكافرين بنعمتى

الجاحدين لحقى ، الظالمين لى ، المعتدين علىّ من المحن والمصائب والشرور ما منعنى من النوم وأسهر عينى ، وأشغلنى عن مهماتى"[1].

ومع أن بختشيوع بن جورجيس قد بلغ منزلة رفيعة فى عهد المتوكل، إلا أنه قد نال سخط وغضب هذا الخليفة ، فقبض عليه ونقاه الى صحراء البحرين[2].

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الحوادث والنكبات من أشد المؤثرات السيئة التى تُثَّبط همة العالم، الأمر الذى ينعكس على نشاطه العلمى بالإجمال. ولكن لحسن الحظ أن النكبات والعثرات التى تعرضت لها بعض المدارس العلمية لم تستمر طويلاً ، وعاد العلماء المنكوبين الى مزاولة نشاطهم العلمى.

وإذا كان من أخص خصائص العلماء تميزهم بصفات وشيم متعارف عليها على مر العصور، فإن مدرسة حنين بن اسحق قد تمسكت بالمبادئ والتقاليد العلمية النبيلة . فها هو رئيس المدرسة يقوم بالتضحية بحياته على أن يركب دواء يقتل به إنسان حتى ولو كان عدو له[3].

(1) أنظر تفاصيل محنة حنين ونكبته فى ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص 263 وبعدها .

(2) راجع ، تاريخ الطبرى 5 / 327.

(3) يذكر ابن العبرى أن المأمون قال لحنين : أريد أن تصف لى دواء يقتل عدواً نريد قتله ، وليس يمكن إشهار هذا ونريده سراً ، قال حنين : ما تعلمت غير الأدوية النافعة، ولا علمت أن أمير المؤمنين يطلب منى غيرها ، فإن أحب أن أمضى وأتعلم فعلت: فقال هذا شئ يطول بنا . ثم رغبه وهدده وحبسه فى بعض القلاع سنة ، ثم أحضره وأعاد عليه القول ، وأحضر سيفاً ونطعاً . فقال حنين : قد قلت لأمير المؤمنين ما فيه الكفاية. قال الخليفة : فأننى أقتلك . قال حنين : لى رب يأخذ لى حقى غداً فى الموقف الأعظم . فتبسم المأمون وقال له : طب نفسا فإننا أردنا امتحانك والطمأنينة اليك . فقبل حنين الأرض وشكر له . فقال الخليفة : ما الذى منعك من الإجابة مع ما رأيته من صد من الأمر منا فى الحالين . قال حنين :=

كذلك ذكر ابن أبي أصبيعة[1] أن جنس جورجس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصهم الله به من شرف النفوس ، ونبل الهمم ، ومن البر والمعروف والأفضال والصدقات ، وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين، والأخذ بأيدى المنكوبين على ما يتجاوز الصفة والشرح.

من كل ما سبق ننتهى الى أن مدارس الترجمة التى شهدها المجتمع العلمى الإسلامي إبان نهضته العلمية ، كانت بمثابة جسر عبور المسلمين الى علوم ومعارف الآخر ، الأمر الذى ساعد على التطور والإبداع فى بنيّة العلوم العربية الإسلامية فيما بعد .

=شيئان هما ، الدين والصناعة . أما الدين فإنه يأمرنا باصطناع الجميل مع أعدائنا، فكيف ظنك بالأصدقاء . وأما الصناعة فإنها موضوعة لنفع أبناء الجنس ومقصورة على معالجتهم ، ومع هذا فقد جُعل فى رقاب الأطباء عهد مؤكد بإيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالاً لأحد . فقال الخليفة : إنهما شرعان جليلان (تاريخ مختصر الدول) ص 251 - 252 .

(1) عيون الأنباء، ص 198.



الفصل الثانى

بيت الحكمة وأثره فى بنّية المجتمع العلمى

تكاد تتفق معظم الكتابات القديمة والحديثة على أن المأمون هو الذى أنشأ " بيت الحكمة " فى بغداد . لكن هناك بعض الكتابات والآراء التى ترجح أن الذى خطط ووضع أساس تلك الدار هو هارون الرشيد، ثم اتسعت بعد ذلك في عهد المأمون . وكلا الرأيين صواب لأن وضع الأساس غير الاكتمال . وكلتا المرحلتين يكملان بعضهما بعضا ، فلا نضج بلا تكوين ، كما لا شباب بلا طفولة . إذن فنحن نزعم مقدما أن الرشيد هو الذى بدأ إنشاء بيت الحكمة ، إذن علينا أن نبحث عن المبررات الدالة على وجود " دار الحكمة "" فى زمن الرشيد . ثم نحاول التعرف على الخطوات التى قام بها المأمون لإخراج بيت الحكمة على الصورة التى عرف بها فى التاريخ . وكذلك أنواع النشاطات العلمية التى وجدت فى بيت الحكمة ، والأسس التى قامت عليها مثل هذه النشاطات . وأخيراً نبحث عن أثر بيت الحكمة فى إيجاد نماذج مماثلة فى الأقطار الإسلامية المختلفة وأثر كل ذلك على التواصل بين المسلمين والآخر فى المجال العلمي .

مدخل:

من الغريب أن بيت الحكمة محوط بغموض شديد ، لم يعثر الباحثون عنه إلا على نتف قليلة ، فهل كان مكتبة فقط ، أو مكتبة ، ومعهداً، ومرصداً؟ وأين كان مكانه ؟ وهل أنشأه الرشيد أم المأمون ؟ وما نظامه وماذا يقوم به من أعمال؟ كل هذه الأسئلة ونحوها من العسير الإجابة عنها، ولم يصل الى أيدينا ما نستطيع أن نتخذ منه جواباً شافياً . أما الأسم ، فأحياناً يستعمل العلماء أسم بيت الحكمة ، كإبن النديم والقفطى، وأحيانا خزانة الحكمة كياقوت ، فالخزانة كلمة معروفة وهى أسم الموضع الذى يخزن فيه الشئ ، وفى القرآن الكريم : " وما من شئ إلا عندنا خزائنه .." [1] "ولا أقول

(1) الحجر 21 .

لكم عندى خزائن الله .." [1] فاستعملوه للدلالة على المكان الذى حفظت فيه الكتب. وأما البيت فاستعملوه فى الدار وأطلقوه على حوانيت التجار، والمواضع المباحة التى تباع فيها الأشياء ، ويبيح أهلها دخولها ، وقد أطلقوا فى هذا العصر بيت المال على المكان الذى يحفظ فيه مال الدولة ، فلا يبعد أن يكونوا أطلقوا كذلك " بيت الحكمة " على المكان الذى حفظت فيه الكتب . وأما كلمة " الحكمة " فقد استعملوها فيما يرادف " فلسفة " . فالظاهر أنهم أطلقوا خزانة الحكمة وبيت الحكمة على مكان المجموعة من هذه الكتب ، لأن كلها أو أكثرها ليست من الكتب الدينية ، بل من الكتب التى عنى بنقلها عن الأمم الأخرى ، وأكثر هذه الكتب فلسفة أو حكمة ، وإن كان فيها شئ من التحف والآثار ، فابن النديم يذكر أنه نقل من خزانة المأمون الخط الحبشي [2].

بيت الحكمة من الرشيد الى المأمون :

سبقت الإشارة الى أن حركة الترجمة من اللغات الأخرى الى العربية قد زادت فى عهد الرشيد عن الفترة التى ابتدأت فيها بواكيرها الأولى على يد خالد بن يزيد . وكان الرشيد أكثر إقبالاً على الحركة العلمية من المنصور ، حيث " بلغت بغداد فى عهده درجة لم تصل اليها من قبل ، فأصبحت مركز التجارة وكعبة رجال العلم والأدب" [3]. وهارون الرشيد نفسه كان من أفاضل الخلفاء وفصحائهم علمائهم، "يجب الشعر والشعراء ، ويميل

---

(1) هود 31.

(2) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، 61/2 ، 63 – 64 .

(3) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافى والاجتماعي ، دار الجيل بيروت ، ومكتبة النهضة المصرية ، ط الرابعة عشر 1996 ، جـ 2 ، 42.

الى أهل الأدب والفقه ، ويكره المرآء فى الدين" [1]. وكان بلاطه يزدان دائماً بمجالس العلم التى كثيرا ما كان يشترك فى فاعليتها ، ففى المجلس الذى عقد بين الكسائيّ والمفضّل بحضرته ، بادر الرشيد بافتتاح المجلس وسأل المفضل : كم أسم فى سيكفيكهم الله ؟[2]. وقد سجل لنا الزجاجى فى كتابه "مجالس لعلماء" كثيراً من المجالس العلمية ، ومجالس المناظرات التى عقدت بحضرة الرشيد ، ومنها : مجلس سيبويه مع الكسائي[3]، ومجلس الكسائي مع الأصمعى[4]، ومجلس أبى محمد الريدي مع الكسائي[5]، ومجلس أبى يوسف صاحب أبى حنيفة مع على بن حمزة[6].

وفى تعبير دقيق جامع يصف الجو العلمى الذى امتاز به بلاط هارون الرشيد يقول ابن طباطبا إنه " لن يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب...ما أجتمع على باب الرشيد"[7].

أما بالنسبة لحركة الترجمة ، فإننا نرجح أن معظم التراجمة كانوا يقومون بأعمالهم فى منازلهم ، بخلاف الفقهاء وعلماء الدين الذين وجدوا فى المساجد دورا للعلم الى جانب دورهم الحقيقية أيضا . ومع اقتصار طبيعة الدراسة فى المساجد فى تلك الفترة على علوم الدين وعلوم اللغة ، فإنه يصعب أن نجد أحد التراجمة السريان يقوم بنقل المنطق الأرسطى مثلا

---

(1) الطبرى 16/5 .

(2) الزجاجى، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، دار الرفاعى بالرياض، الطبعة الثانية 1403 هـ، ص 30 .

(3) الزجاجى ، ص 9 .

(4) الزجاجى ، ص 35 .

(5) الزجاجى ، ص 235 .

(6) الزجاجى ، ص 259 .

(7) ابن طباطبا، الفخرى، ص166 – 168 نقلا عن حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ص 53.

وهو يستند الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، ومجاور لأسطوانة أخـــرى تشهد محاضرة فى الفقه الحنبلى مثلا !

إذن قام التراجمة بأعمال الترجمة فى دورهم ، أو على أقــل تقـــدير فى أماكن خاصة بهم كأن تكون زاوية فى قصر الخليفة ، أو أحد الـــوزارء، أو الأمراء . ومن هنا شرع الرشيد فى إنشاء " دار الحكمة" لتكـــون أول دار عامة تجمع شتات العلماء ، وتجرى عليهم الأرزاق .

ومن الإشارات الدالة على وجود " دار الحكمة " فى عهد الرشـــيد ، ما ذكره ابن النديم فى أثناء ترجمته لأبى سهل الفضل بن نوبخـــت ، حيـــث قال: " فارسى الأصل .. وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشـــيد . ولهـــذا الرجل نقل من الفارسي الى العربى ومُعَوّله فى علمه على كتب الفـــرس[1]. وفى موضع آخر من الفهرست يشير ابن النديم الى بيت الحكمة الرشيدي، ثم المأمونى، وذلك فى حديثه عن عّلان الشعوبى والذى قال فيه: " أصله مـــن الفرس وكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمنـــافرات، منقطعـــاً الـــى البرامكة، وينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة"[2].

إن مثل هذه الإشارات – بالإضافة الى اهتمام الرشيد بالعلم وحـــب العلماء – إنما تدلنا بوجه من الوجوه على أن بيت الحكمة وجد فـــى عهـــد هارون الرشيد ككيان علمى قائم بالفعل[3] تجرى فيه بعض الأنشطة العلميـــة المختلفة لاسيما النسخ والترجمة .

---

(1) ابن النديم ، الفهرست ، ص 382 .

(2) ابن النديم ، الفهرست ، ص 153 – 154 .

(3) D.E.T.J. Sourdel., La Civilisation Del, Islam Classique. Paris 1950, p.52.

أما عن مكونات " بيت الحكمة " كبنـاء ، فـإن أصـحاب مرجـع متخصص فى تاريخ العراق بصفة عامة ، وتاريخ بغـداد بـصفة خاصـة يذهبون الى أن بيت الحكمة فى عهد الرشيد قد تكوّن من بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات الواسعة موزعة فى أقسام الدار، وتضم مجموعة من خزائن الكتب ، فى كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة بعلم من العلوم ، ورتب الرشيد فيه عدداً من المترجمين ومن يعاونهم مـن النـساخ والخزان، والمجلدين، والوراقين، فكان من المترجمين فيه أبو سهل الفـضل بن نوبخت الذى عنى بالنقل من الفارسية[1] ومن النساخ علان الـشعوبى[2]. وفى عصر المأمون اكتمل البناء واتسعت الدار نظراً للشغف العلمى والاتجاه العقلى الذى عرف به المأمون . ولذلك نراه يبذل كل ما فى وسـعه لاقتنـاء نفائس الكتب المعروفة وقتئذ . ومن ذلك أنه كان بينه وبـين ملـك الـروم مراسلات ، فكتب إليه يسأله الإذن فى إنفاذ ما يختار مـن العلـوم القديمـة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون

---

(1) صالح أحمد العلى، وآخرون، العراق فى التاريخ ، طبعة بغداد 1983 ص475.

(2) تذكر بعض المراجع القديمة والحديثة خطأ أن يوحنا بن ماسويه تولى ترجمة الكتب الطبيـة القديمة التى جلبت من أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم لهارون الرشيد ، وذلك استنادا الى ما انفرد به ابن جلجل عن سائر كتب التراجم، حيث قال فى ترجمة يوحنا بن ماسويه: " مسيحى المذهب ، سريانى ، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقرة وعمورية وبلاد الروم حين سباها المسلمون " (طبقات الأطباء والحكماء ، ص 65) . والحقيقة أن يوحنا بـن ماسويه دخل بغداد فى زمن المأمون وصار طبيباله وليس للرشيد، والمأمون هو الـذى قلـده أمانة الترجمة . كما أن فتح أنقرة وعمورية كان فى زمن المعتصم بـالله سـنة 223 هــ ، ولم يكن فى عصر الرشيد كما ذكر ابن جلجل (د. ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق، العصر الذهبى للترجمة ، ص 42). وقد تناقلت بعض المراجع القديمة والحديثة خطـأ ابـن جلجل هذا ، ومنها : عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص 24، تاريخ مختصر الـدول لابـن العبرى ص 227 ، ضحى الإسلام لأحمد أمين 2/ 62 ، العراق فى التاريخ لـصالح العلـى وآخرين ص 476 ، الصلة بين علم الكلام والفلسفة لعباس سليمان ص 24 .

لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلما صاحب " بيت الحكمة " وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله ، فنقل . وقد قيل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلاد الروم(1).

ويستنتج من هذا أن المأمون أرسل بعثة الى القسطنطينية لإحضار الكتب اليونانية من طبية وفلسفية ، وأنه كان من بين أفراد البعثة صاحب بيت الحكمة ، وهو سُلْمٌ – ومعروف أنه كان فى القسطنطينية مكتبة كبيرة أُنشئت سنة 336 م ، وعنى بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغ ما فيها نحو مائة ألف مجلد ، وأحرق بعضهم بعض ما فيها من الكتب الدينية انتصاراً لمذهبه الديني ، ولكنها جددت بعده ، واتسع نطاقها فكانت فى عصر المأمون زاخرة بالكتب – ، كما يستنتج أن سلما وسهل بن هارون كانا مشرفين على الخزانة ، إما متعاصران ، ولكل دائرة اختصاص ، أو متعاقبان . ويظهر أيضا أن " بيت الحكمة " كان مجموعة خزائن ، كل مجموعة من الكتب خزانة ، وأن سهل بن هارون كان مشرفا على القسم الذى أحضرته بعثة القسطنطينية، كذلك يغلب الظن على أن كتب الرشيد قد أفردت فى خزانة ، وكتب المأمون قد أفردت فى أخرى، فإبن النديم يستعمل أحيانا خزانة المأمون وأحيانا أخرى خزانة الرشيد(2).

أوجه النشاط العلمى فى بيت الحكمة

وعلى كلٍ فإن " بيت الحكمة " يعتبر أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامي ، ولعله أول جمعية إسلامية يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس ، فكان بذلك مركزاً علمياً شمل علوم الطب والفلسفة والحكمة

---

(1) الفهرست 339 .

(2) ضحى الإسلام 2 / 63 .

وغيرها[1]. وليس من المغالاة فى شئ أن نقول أن هذه المؤسسة قد لعبت دوراً هاماً فى نقل تراث الحضارات القديمة الى العالم الإسلامي، فقد قامت هذه المؤسسة التى ضمت علماء من المسيحيين، واليهود، والمسلمين على الاهتمام " بالمعارف الأجنبية " من علوم وفلسفة اليونان، ومؤلفات جالينوس، وهيبوقراطيس ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والشارحيين من أمثال الإسكندر الأفروديسي، وثيمستيس ، ويوحنا الفيلوبونى[2] (يحيى النحوى). وفى " تاريخ كمبردج للإسلام " فى الجزء الذى تناول المجتمع الإسلامي والحضارة ، والذى نشره الأساتذة هولت ، لامبتون ، برنراد لويس ، نجد التأكيد على أن بيت الحكمة لعب دوراً هاما فى نقل العلوم القديمة الى العالم الإسلامي[3].

لكن ثمة تساؤل هام يطرح نفسه هنا، مؤداه: ما الأقسام التى احتواها بيت الحكمة ؟ ولعل أهمية هذا التساؤل تأتى من اختلاف الآراء حول الإجابة عليه .

ويمكن لنا أن نقدم تصور لأقسام بيت الحكمة بناء على ما توافر لنا من النصوص ، فمن المؤكد أنه ضم الى جانب المكتبة أو خزانة الكتب الكبيرة ، قسماً خاصاً للترجمة ، ولكن هذا التأكيد لا نستطيع أن نعممه بالطبع على بقية أقسام بيت الحكمة المزعومة ، فقد زعم بعض الباحثين[4] أن بيت الحكمة اشتمل الى جانب المكتبة وقسم الترجمة على قاعات للقراءة مزودة

---

(1) د. عبد الحليم منتصر ، مرجع سابق ، ص 59 .

(2) حيدر بامات، اسهام المسلمين فى الحضارة الإنسانية ، ترجمة د . ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية (د . ت) ، ص 78 – 79.

(3) The Cambridge History Of Islam Op . Cit, p . 748.

(4) د. خالد الحديدي ، من بيت الحكمة فى بغداد الى زاويه القصبى بطنطا ، دار الوسطانية للنشر ، القاهرة (د . ب) ، ص 28 .

بطناقس من الحرير يجلس عليها القراء ، وقاعات كبيــرة للمحاضــرات ، والمناظرات أشبه بقاعات المحاضرات فى مكتباتنا الحديثة، والواقع أن معظم المصادر والمراجع التراثية التى تناولت بيت الحكمة لم تشر من قريــب ـ أو من بعيد الى مثل هذه الأقسام ، فلم يكن بيت الحكمة جامعة كبيرة يتــصل بها مكتبة ومرصد فلكى كما بالغ البعض فى الزعم بأن المأمون قد بناه فــى بيت الحكمة . فليس هناك أيضا من النصوص ما يشير صراحة الى ذلــك . كما أن الحالة العلمية فى عصر المأمون قد اقتصرت فــى مجملهــا علــى الترجمة والنقل. ولم يكن معظم علماء المسلمين قد وصلوا الى مرحلة النضج والابتكار الى الدرجة التى تمكنهم من تخطيط وبناء مرصد فلكى . حتى إن الخوارزمى الرياضى والفلكى المشهور، والذى "كان منقطعــاً الــى خزانــة الحكمة للمأمون"[1] لم يشر على الأخير ببناء مرصد فلكى فى الخزانة ، حيث أنصبت معظم بحوثه فيها على الحساب والهندسة، وسوف يأتى تفصيل ذلك فى موضع لاحق من هذا الكتاب.

والنتيجة التى نخلص اليها من هذه المناقشة أنه كلما قلت النــصوص الخاصة بموضوع ما ، كثر اختلاف الآراء حول هذا الموضوع. وبناء على ذلك يأتى تصورنا الخاص لبيت الحكمة فيما يلي:

الغالب – بناء على النصوص التى بين أيدينا – أن بيت الحكمة كان مكتبة ملحقة بقصر الخليفة وليست مكاناً خارجياً ، إذ لم ينقل إلينا فى تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة ، وقد اعتاد الخلفاء أن يفعلــوا هــذا فــى قصورهم ، فكان فى قصر قرطبة مكتبة ، وفى قصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله مكتبة[2]. ولعل مثل هذه المكتبات قد اتخذت نموذج مكتبة بيت الحكمــة

(1) الفهرست 383 .

(2) ضحى الإسلام 2 /64 .

مثالا يحتذى به نظراً لما حظيت به من شهرة علمية واسعة بين أرجاء العالم الإسلامي .

وقد انقسم " بيت الحكمة " الى قسمين أثنين فقط ، قسم المكتبة ، وقسم الترجمة . ونستطيع أن نؤكد كلامنا هذا من الوقوف على الأعمال العلمية التى شهدها بيت الحكمة بقسميه فيما يلي :

أما القسم الأول ، أي المكتبة أو " خزانة الكتب " فإن القلقشندى يعتبرها من أعظم ثلاث خزائن للكتب فى الإسلام . والثانية هى خزانة الفاطميين بمصر ، وكانت من أعظم الخزائن ، وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم ... والثالثة هى خزانة خلفاء بنى أمية بالأندلس ، وكانت من أجل خزائن الكتب أيضا .

ولقد قام على أمر مكتبة " بيت الحكمة " مجموعة من الأفراد يشغلون وظائف معينة ، وهم : الخازن ، أو أمين المكتبة – التراجمة – النساخ والمجلدون – المناولون . كان الخازن يشرف على الناحية الإدارية فهو يمد المكتبة بالكتب الجديدة ، ويلاحظ دقة الفهارس ، وحسن تنظيمها وشمولها ، وييسر للعاملين عملهم ما استطاع الى ذلك سبيلا. وعليه المحافظة على الكتب من الضياع ، والضن بها على من ليس أهلا لها ، ولقد أدرك المسلمون فى العصور الوسطى أن وظيفة الخازن ليست عملاً إدارياً فحسب، إنما هى عمل علمى قبل كل شئ وعلى هذا فقد أُختير لهذه الوظيفة جماعة من أساطين العلماء ومشاهير الأدباء(1) مثل : سهل بن هارون ، وسعيد بن هارون ، وسلم صاحب بيت الحكمة. فالأول كان حكيماً ، شاعرا متحققاً بخدمة المأمون ، وصاحب خزانة الحكمة ، وله من الكتب عدة منها :

---

(1) راجع أحمد شلبى، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، الجزء الرابع ، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية 1966 ، ص 159.

كتاب ديوان الرسائل ، كتاب ثعلة وعفرا على مثال كليلة ودمنة ، كتاب النمر والثعلب ، كتاب تدبير الملك والسياسة. وشارك الثانى سهل بن هارون فى بيت الحكمة ، وكان بليغاً فصيحاً مترسلا ، وحكى عنه الجاحظ ، وله من الكتب ، كتاب الحكمة ومنافعها، وله رسائل مجموعة. وكان سلم مع سهل بن هارون أيضا فى بيت الحكمة ، وله نقول من الفارسي الى العربي[1].

وكانت مكتبة بيت الحكمة لا تحوى كتباً عربية فقط، ولكنها تحتوى على كتب باليونانية، وكتب بالسريانية، وكتب باللاتينية، وكتب ترجمها المترجمون إضافة الى كل الأصول التى كان المأمون يستحضرها من الروم[2]. ومع ضخامة عدد الكتب التى احتوتها المكتبة، إلا أن المسلمين لم يعرفوا الطريقة الحديثة فى وضع الكتب على الأرفف، بل كانوا يضعونها مستلقية الواحد فوق الآخر ذوات القطع الصغير فوق ذوات القطع الكبير.... وهكذا . وقد ترتب على تنظيم الكتب بهذه الطريقة شئ آخر هو أن عنوان الكتاب واسم مؤلفه لم يكتبا على ظهر الكتاب كما هو متبع فى العهد الحاضر، بل كان المعروف أن يكتب على أطراف الصفحات مجتمعة من أسفل وتجعل رؤوس الأحرف تجاه بدء الكتاب ، فإذا وضعت الكتب بعضها فوق بعض ، جعل الجانب الذى عليه الكتاب من الجهة الخارجية للرف ليواجه الشخص الذى يبحث عن كتاب معين فيسهل فى هذه الحالة أن يعثر على الكتاب الذى يريده . أما الكتب الثمينة أو غير المجلدة فقد كان كل منها يحفظ غالباً فى صندوق مصنوع من الورق المقوى فى الغالب وعلى قدر حجم الكتاب ، ويكتب العنوان واسم المؤلف فى هذه الحال على جانب الصندوق بدلا من أطراف الورق. وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة

---

(1) الفهرست 174 .

(2) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 27 .

مجموعة كبيرة منحدرة من تلك العصور كُتِبَ العنوان وأسم المؤلــف علــى أطراف أوراقها أو على جوانب صناديقها[1].

أما التراجمة ، فكانت أعمالهم فى النقل من اللغــات الأخــرى الــى العربية من أهم الأعمال على الإطلاق فى بيت الحكمة . وقد سبق الحــديث عن ذلك[2]. ومن مفاخر المسلمين أنهم أدركوا فى العصور الوسطى ضرورة أن يكون بالمكتبة قسم للطبع والنشر ، ولم تكن وسائل الطبــع الحديثــة قــد وجدت بعد بطبيعة الحال ، فعينوا بالمكتبات نسّاخاً عرفوا بالدقــة والاتقــان وجودة الخط .. وكان على الناسخ أن يلحظ الدقة والاتقان فى عمله ، بحيث لا تدعوه الرغبة فى سرعة الإنجاز أن يحذف فى أثناء الكتابــة شــيئا أو أن يسهو عنه ، وعليه أن يتتبع تعليمات مستأجره بملاحظة عدد الوراق، ونظام الكتابة، وعدد الأسطر فى كل صفحة ولون الحبر وغير ذلك[3].

ومع ذلك فقد وصل الينا كثير من كتب التراث المخطوطة قلما تخلو من أخطاء الناسخ ، ويعرف ذلك جيداً محققوا النصوص المخطوطة. وكــان من أشهر نساخ بيت الحكمة " علان الشعوبى " الذى كــان ينــسخ للرشــيد والمأمون على رأى صاحب الفهرست[4]. وقد اقترنت مهنة النــسخ بعمليــة أخرى هى التجليد الذى بدأ عند المسلمين بسيطاً، ولكنه تطور بسرعة عجيبة حتى أصبح فناً فيه دقة وجمال[5]. ومن مجلدى هذا العصر نذكر ابــن أبــى حريش الذى كان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون[6].

---

(1) راجع، أحمد شلبى ، مرجع سابق ص 149 – 150 .

(2) انظر الفصل الخاص بحركة الترجمة من هذا الكتاب.

(3) أحمد شلبى ، مرجع سابق ، ص 164 – 165.

(4) الفهرست 154 .

(5) أحمد شلبى ، مرجع سابق ، ص 170 .

(6) الفهرست 14 .

تلك هى أهم أقسام " بيت الحكمة " قسم المكتبة ، وقسم الترجمـــة . وقد وقفنا على الأعمال التى كانت تجرى فى هذين القسمين من تخزين للكتب بطريقة معينة ، ونسخ وتجليد وقراءة ومطالعة ، وبحث فى قاعات المكتبـــة، الى العكوف على ترجمة ونقل علوم ومعارف الأمم الأخرى فى قسم الترجمة بمعرفة حذاق التراجمة فى ذلك العصر .

وقد انتشرت المكتبات العامة فى معظم أقطار العالم الإسلامي بعـــد إنشاء مكتبة " بيت الحكمة " . ويمكن اعتبار هذه الصورة من أهم المؤثرات العلمية والثقافية التى أحدثتها مكتبة "بيت الحكمة" فى العالم الإسلامي، ويمكن الحديث بشئ من الإيجاز عن بعض توابع "بيـــت الحكمـــة" مـــن المكتبـــات الخاصة والعامة فيما يلي :

يذكر ابن النديم أن الفتح بن خاقان – الذى اتخذه المأمون أخاً وكان يقدمه على سائر ولده وأهله – كان له خزانة جمعها له علـــى بـــن يحيـــى المنجم، لم ير أعظم منها كثرة وحسناً ، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفة والبصرة[1].

ولقد زخرت مكتبة قرطبة بكثير من المصنفات فى مختلـــف العلـــوم والفنون . فقد بذل الحكم المستنصر حتى قبل أن يجلس على عرش الخلافـــة الأموية سنة 350 هـــ / 961 م ، جهوداً عظيمة الأثر فى توجيه الدراسات الأندلسية فى ميدان العلوم والطب . وكانت المكتبة التى أنشأها فـــى قـــصره بقرطبة ذات ثراء لا يقارن ، إذ كانت تضم بين خزائنها أربعمائة ألف مجلد فى وقت لم تعرف فيه الطباعة ، وكانت الفهارس التى وضعت لها فى غاية الاختصار حتى إنها اكتفت بذكر أسماء الكتب ومؤلفيها فحسب . وكانت هذه المكتبة تحتوى على أربعة وأربعين سجلا، كل منها يقع فى خمسين ورقة .

---

(1) الفهرست 159 ، 205.

وكانت هناك شبكة محكمة من الباحثين والسماسرة والناسخين يعملون لحساب ذلك الخليفة الأموى فى الأندلس . وقد انتشروا فى جميع أنحاء العالم الإسلامي سعياً وراء المؤلفات .. وقد امتاز الحكم المستنصر بقراءة كثير من هذه الكتب والتعليق عليها[1].

أما دار الحكمة بالقاهرة فقد أنشئت فى عهد الحاكم بأمر الله سنة 395 هـ/1004 م. وقد حملت اليها الكتب من خزائن القصور، وحمل اليها من خزائن الحاكم من الكتب ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد الملوك قط، وأجريت الأرزاق على من فيها من العلماء والفقهاء والأطباء. وأبيح دخولها لسائر الناس ، فوفدوا اليها على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من يحضر للقراءة ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعليم . كما أباح الحاكم المناظرة بين المترددين الى دار الحكمة ، فيعقدون الاجتماعات والمناظرات. وظلت دار الحكمة مزدهرة حتى أوائل القرن السادس الهجرة[2].

وكانت خزانة سابور بن أردشير المتوفى سنة 416 هـ/1025 م ملتقى للباحثين والقراء ، وكثيراً ما كان يجتمع بها جلة العلماء الذين يتباحثون ويتناظرون ، ومن هؤلاء أبو العلاء المعرى الذى أحبها وآثر الإقامة بها حين كان ببغداد[3].

وكان الجامع الأزهر فى عهد الأيوبيين والمماليك داراً للعلم تضج بجماعات العلماء والفقهاء، وتحوى خزانة كتب ضخمة ضمت إلى جانب المصاحف الثمينة، الكتب المفيدة فى سائر فروع العلم[4].

---

(1) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافى والاجتماعي، 145 - 144/3.

(2) أحمد شلبى ، تاريخ التربية الإسلامية ، ص 141 .

(3) نفس المرجع ص 147 .

(4) راجع، المقريزى، تقى الدين أحمد بن على، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، طبعة بولاق 1276هـ، ج2، ص269.

وحظى الجامع الأموى[1] بدمشق باهتمام الخلفاء والحكــام والملــوك على مر العصور الإسلامية .. فكان منارة للعلم والمعرفة، ومدرسة جامعــة للعلماء والطلاب، فيه تُلقى الدروس العلمية من كل فن، وإليه يغد طلاب العلم من كل صوب للنهل من معين الثقافة والالتقاء بالعلماء. وقد ظل هذا الجامع فى العهدين الأيوبى والمملوكى قبله للعلماء والدارسين ومركزاً علمياً بــارزاً ومكتبة ضخمة تشتمل على أكثر من خمسة آلاف مجلد.

وضمت مكتبة المدرسة العادلية التى أنشأها الملك العادل نور الــدين زنكى مجموعة من الكتب فى مختلف فروع العلم والمعرفــة ســاعدت فــى تأليف الموسوعات الكبرى، فصنف بها أبو شامة موسوعته "تاريخ الروضتين فى أخبار الدولتين"، وألف بها ابن خلكان موسوعته "وفيات الأعيان وأنبــاء أبناء الزمان".

ولم يقف حب المكتبات وتقديرها والحرص عليهــا علــى العلمــاء والباحثين، وإنما تعداها الى سواهم من عامة الناس ، وأصبح وجود مكتبــة بالمنزل من تمام زينته وتأسيسه ، حتى ولو لم يكن صاحب المنزل مــؤهلا للإطلاع والاستفادة من زخائرها ، فهى على كل حال تضفى على المنــزل جمالاً وعلى صاحبه كمالاً وجلالاً.

وفى مطلع القرن الرابع الهجرى أنشأ ابو القاسم جعفر بن محمد ابن حمدان الموصلى المتوفى سنة 323هـ/ 934 م "دار العلم" فــى الموصــل جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب لعلم، لا يمنع أحد من دخولها ، إذا جاءها الغريب يطلب الأدب، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً ، وورقا (مالا) . وكان لذلك أثره فى تأسيس عدد كبير من المدارس بعد القرن

---

(1) راجع، عبد الرحمن المزينى، الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن الهجــريين، المدينــة المنورة 1424هـ/ 2003م، ص75 – 76.

الرابع الهجرى فى الموصل منها: المدرسة "النظامية " التى أسسها نظام الملك ، والمدرسة " الأتابكية " العتيقة قبل سنة 542 هـ/1147 م، والمدرسة "المهاجرية" قبل سنة 585 هـ / 1189م التى درس فيها العلامة موفق الدين عبد اللطيف البغدادى المؤرخ الأديب الطبيب المشهور، والمدرسة "الزينية الكمالية" قبل سنة 563 هـ/ 1167 م التى درس فيها العالم الكبير كمال الدين بن يونس العقيلي ، والمدرسة "المجاهدية" بعد سنة 572 هـ/1167م ، والمدرسة "النورية" بعد سنة 589 هـ/1193 م ، والمدرسة " العلائية " قبل سنة 608 هـ/ 1211م ، والمدرسة " البدرية " قبل سنة 615 هـ/1218م وغيرها. وكانت المدرسة تستقل وتتميز بهذين العنصرين الأساسيين وهما: المكان المخصص للدرس ، والمنزل المخصص للسكن وذلك فى وحدة معمارية وإدارية واحدة . وكان المدرسون يتخيرون من بين كبار المدرسين فى العراق والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية، مما انتهت اليهم رئاسة العلم[1].

وفى دار كتب المسجد الأقصى[2]: وقف صلاح الدين الأيوبى مصاحف وختمات وربعات شريفة، وزاد فى دار كتب المسجد الأقصى، كما وقف كتباً أخرى على المعاهد العلمية التى أنشأها بعد تحرير بيت المقدس مثل المدرسة الصلاحية، والزاوية الختنتية، ونهج الأيوبيون نهج صلاح الدين من بعده، يشير إلى ذلك تحديد الملك عيسى (ت 656هـ) الزاوية النصرية لإقراء القرآن والاشتغال بالنحو. كما عنى المماليك بخزائن كتب المسجد الأقصى، ووقفوا كتباً كثيرة عليها كما فعل الأيوبيون من قبل، ويظهر ذلك بصورة جلية فى سجل دار الكتب بالمسجد الأقصى.

---

(1) راجع، صالح أحمد العلى وآخرون ، العراق فى التاريخ ص -501، 505، 515.

(2) راجع، المزينى، م. س، ص112.

وتأسيسا على ما تقدم يمكن لنا أن نتبنى وجهة نظر معينـــة تجـــاه : بيت الحكمة "وهى أن هذا البيت كان عبارة عن مكتبة ومركز للترجمة فقط، وأن الفضل الأكبر له يرجع الى أنه كان أكبر حلقـــة وصـــل فـــى العـــالم الإسلامي، أوجدت لحمة التواصل بين علوم الأمم الأخرى والعلوم العربيـــة الإسلامية فيما بعد ، وذلك من خلال حركة الترجمة والنقل والتى تمت فـــى بيت الحكمة على أكمل ما يكون . والتى تعتبر أيضا أكبر جسر ثقافى عرفته الأمة العربية الإسلامية فى ذلك العصر . فكان بيت الحكمة الشهير أقـــرب الى معهد للدراسات المتقدمة المتخصصة فى ترجمة العلم اليوناني والفلـــسفة اليونانية. وغيرها من علوم ومعارف هندية وفارسية . وبواسطة بيت الحكمة حفظ للإنسانية كثير من تراث الإغريق الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية للوصول الى هذا التراث.

ولقد ظل بيت الحكمة مزدهرا فى عهد المأمون الخليفة العالم الـــذى كان يهب العلم وقته ورعايته ، كما يهب العلماء عطفه وعنايته. أما المعتصم فقد أهمل شأن هذا البيت العظيم ، ثم توالت الأحداث التى زادت من الإقلال من شأنه ، ولكنه ظل يقاوم الى أن داهم التتار بغـــداد ، وقتـــل "هولاكـــو" المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ، فانتهى مع الأسف هذا المعهـــد العظـــيم وأندثرت خزانة الكتب وعفيت آثارها[1].

---

(1) عبد الحليم منتصر ، مرجع سابق ص 59 – 60 .

نقد وتقييم:

لعلنا قد لاحظنا واتضح لنا بعد تتبعنا لدراسة "بيت الحكمة" فى بغداد، مدى الدور الذى لعبته فى بنية المجتمع العلمى الإسلامى. فلقد وقفنا على المبررات الدالة على وجود بيت الحكمة فى زمن الرشيد، ورأينا كيف أن الرشيد هو الذى بدأ تأسيس بيت الحكمة لتكون داراً عامة يقوم فيها التراجمة والعلماء بترجمة كتب الأمم الأخرى التى توافرت لهم آنذاك، وخاصة الفارسية منها. ورأينا أيضاً كيف أن هذه الدار فى عهد الرشيد قد تكونت من بناء كبير يضم مجموعة من الأقسام متمثلة فى عدد من الحجرات التى تضم خزانات الكتب، حيث خصص لكتب كل علم من العلوم خزانة خاصة بـه. ولقد لعب النساخ والخزان، والمجلدون، والوراقون دوراً هاماً فى مساعدة من يقومون بالعمل الرئيسى فى بيت الحكمة، وهم التراجمة، ومن أشهرهم وقتئذ، أبو الفضل بن نوبخت الذى كان ينقل من الفارسية إلى العربية.

أما الخطوات التى قام بها المأمون لإخراج بيت الحكمة على الصورة التى اشتهر بها فى التاريخ. فيمكن أن نستنتج تلك الخطوات مما قدمناه فى نقاط محدودة فيما يلى:

1- عمل المأمون على اتساع بناية دار الحكمة حتى تناسب حجم النشاط العلمى الذى كان المأمون من أكبر العوامل التى أدت إلى ازدهاره آنذاك.

2- بذل المأمون كل ما فى وسعه لإقتناء نفائس الكتب المعروفة فى عصره وخاصة من بلاد الروم، وبصفة أخص من القسطنطينية التى كانت بها مكتبة زاخرة بألوان العلوم والمعارف وقتئذ.

3- عمل المأمون على زيادة عدد التراجمة فى بيت الحكمة لترجمة الكم الكبير من الكتب التى جلبت إلى بيت الحكمة. ففى الوقت الذى لم نجد فى عصر الرشيد من مشاهير التراجمة سوى أبا سهل الفضل بن نوبخت، نجد فى عصر المأمون أسماء كثيرة من حذاق التراجمة من أمثال: الحجاج بن مطر، وابن البطريق، ويوحنا بن ماسويه، وحنين بن اسحق، واسحق بن حنين، وحبيش بن الأعشم .. وغيرهم من التراجمة الذين قاموا تحت رعاية الخليفة العالم المأمون بمهمة تاريخية عظيمة.

4- قسم المأمون بيت الحكمة إلى قسمين كبيرين، قسم المكتبة العامة، وقسم الترجمة، ضم الأول خزائن الكتب، وقاعات القراءة، وضم الثانى أماكن خاصة للتراجمة تحتوى بلا شك على أدواتهم المستعملة أثناء العمل.

وتوافر التراجمة على عملهم بكل دقة وبإتقان، فنقلوا إلى العربية ذخائر علوم الأمم الأخرى، والتى كانت بمثابة الأسس التى قامت عليها الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.

وفيما يتعلق بأنواع النشاطات العلمية التى وجدت فى بيت الحكمة، فلقد رأينا كيف أن هذه النشاطات قد اقتصرت على الترجمة بالإضافة إلى نشاطات أخرى تكميلية مثل النسخ والتجليد ... وما شابه ذلك.

أما قاعات المكتبة فقد اقتصر النشاط فيها على المطالعة والقراءة، ولم تشر معظم النصوص إلى أن بيت الحكمة قد شهد وجود مجالس علمية بالمعنى المتعارف عليه من وجود أسطوانات أو قاعات خاصة للمحاضرات يجتمع فيها طلاب العلم للتلقى على أستاذ ما.

وعن تأثير بيت الحكمة فى إيجاد نماذج مماثلة فى الأقطار الإسلامية المختلفة فلقد وجدنا أن معظم المكتبات التى انتشرت فى العالم الإسلامى قـد اتخذت "بيت الحكمة" أنموذجا يحتذى، مثل: مكتبة الفتح بن خاقان، ومكتبـة قرطبة، ومكتبة دار الحكمة بالقاهرة، وخزانة سابور بن أرديش، ودار العلم فى الموصل التى أنشأها جعفر بن حمدان الموصلى .. وكان لكل لذلك أثره الفعال فى نشاط الحركة العلمية على وجه الإجمال.





الفصل الثالث

منهج الجدل وتأسيس العلوم

مقدمة

يربط ابن خلدون معنى الجدل بالمناظرة لما لها من آداب يجب معرفتها والالتزام بها من قبل المتجادلين ، فيقول : " الجدل هو معرفة آداب المناظرة التى تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم". وهو يذكر أن سبب وضع شروط ومبادئ معينة للمناظرة هو أنه لما كان باب المناظرة فى الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين فى الاستدلال والجواب يُرسل عنانه فى الاحتجاج ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف الممتناظرين عند حدودها فى الرد والقبول". وهذه الأحكام تتضمن ما يلي:[1]

1- حال المُستدل والمُجيب ، وكيف يكون الأول مستدلاً ، والثانى معترضا مبينا محل اعتراضه أو معارضته .

2- متى يجب على المستدل السكوت ومتى يجب على الخصم الكلام والإستدلال. وينتهى ابن خلدون من ذلك الى تعريف عام للجدل أو المناظرة بالإضافة الى تحديده لنوعين منها، نوع خاص بالأدلة الشرعية ونوع آخر خاص بأى علم من العلوم، فيقرر[2] أن الجدل هو معرفة بالقواعد من الحدود، والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها الى حفظ رأى وهدمه سواء كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره، وهى طريقتان: طريقة البزدوى وهى خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال ، وطريقة العميدي وهى عامة فى كل دليل يُستدل به من أي علم كان .

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، طبعة المكتبة التجارية بمصر، بدون تاريخ، ص457.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

وإذا تطرقنا الى أشهر تعريفات علم الكلام ، ومـــن بينهـــا تعريـــف الفارابى، وابن خلدون، نجد أن معنى الكلام يتضمن ضمنياً الجدل والمناظرة، وإن كان فى دائرة المسائل الإعتقادية فقط. يقول الفارابى: علم الكـــلام هـــو ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل[1].

ويقول ابن خلدون: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائـــد الإيمانيـــة بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الإعتقادات عـــن مـــذاهب السلف وأهل السنة[2].

أما الشهرستانى فنجده يرادف بين الكلام والجدل والمناظرة، وهو ما يذكره الدكتور أبو ريده[3]: من ان لفظ الكلام أصبح اصطلاحاً فنياً فى عهـــد المأمون . وكثيراً ما نصادف لفظ كلام بمعنى ناظر أو جادل .

ويأخذ دى بور برأى الشهرستانى ، ويـــرادف معـــه بـــين لفظـــى الكـــلام والجـــدل بقولـــه : وأحـــسن عبـــارة نـــدل بهـــا علـــى الكـــلام هى Theologische Dialektika (= الجدل فـــى المـــسائل الإعتقاديـــة) أو Dialektik (= الجدل) فقط ، وسنترجم فيما يلي لفظ متكلمـــين بلفـــظ Dialektiker[4]. أى مجادل وفى سبيل تأكيده على ذلك يرجع دى بور نشأة علم الكلام برمته الى أصول منطقية أو جدلية استخدمها المتكلمون فى تفسير

---

(1) الفارابى ، إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعـــة الثالثـــة 1968 ، ص 131.

(2) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 458.

(3) محمد عبد الهادى أبو ريده، هامش ص95 من ترجمته لكتاب دى بور المذكور فى الهـــامش التالى.

(4) دي بور ، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة د . محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار النهـــضة العربية ، الطبعة الخامسة ، ص 96 .

الاعتقادات فيقول[1]: وكانت الأقوال تصاغ كتابة أو شفاهة على نمط منطقى أو جدلى تسمى عند العرب فى الجملة، وخصوصا فـــى معالجـــة المـــسائل الاعتقادية " كلاما " ، وكان أصحاب هـــذه الأقـــوال يـــسمون " متكلمـــين". وقد انتقل لفظ الكلام من استعماله فى الدلالة على مقالة مفردة الى اســـتعماله فى الدلالة على جملة مذاهب المتكلمين وعلى ما يعتبر أُصولا ومقدمات .

ومفاد الرأى السابق أن ظهور علم الكلام كان سبباً قويا ومباشراً فى انتشار مجالس الحوار والجدل والمناظرات فى المجتمع العلمـــى الإســـلامي بحيث أصبح الفهم العام للمناظرة يشير الى أنها عادة حوار بـــين شخـــصين حول موضوع واحد من وجهتين مختلفتين من النظر لتحويل الأفكـــار الـــى أشخاص ، والمعانى المجردة الى تجارب حية . ومن ثم تتحـــول المنـــاظرة الخاصة الى العامة حتى يشارك فيها الجمهور : فالموضوعات العلمية هـــى فى حقيقتها معارك ثقافية ، والمعارك الثقافية فى حقيقتها مواقف حضارية ، ولا يستطيع تدوين ذلك إلا العلماء المثقفون الذين يجمعون بين علم الخاصة وثقافة العامة[2].

لكن ما طبيعة المناظرات، وما الذى أدت إليه من نتـــائج، إيجابيـــة كانت أم سلبية، على المجتمع الإسلامي بصفة عامة، والمجتمع العلمى بصفة خاصة ؟

---

(1) المرجع نفسه ، ص 95.

(2) حسن حنفى ، هموم الفكر والوطن ، التراث والحداثة ، دار قباء ، القاهرة ، الطبعـــة الثانيـــة 1998 ، ص 107.

بدايـــات الجـــدل :

فتح المسلمون بلاداً ذات ثقافات عريقة ، مثل فارس والشام ومصر ، وكان الفرس يؤمنون بالزرادشتية، والمانوية، والمزدكية، وانتشرت اليهودية والمسيحية فى الشام ومصر (وكانتا من أمـــلاك البيـــزنطيين المـــسيحيين)، وعندما أحست هذه الشعوب المغلوبة بعجزها عن مقاومة جيوش المسلمين ، انبرى مثقفوها ليشنوا حملة ثقافية مضادة على العقيدة الإسلامية للتشكيك فيها مستهدفين إضعاف الروح الإسلامية ، وتفتيت وحدة المسلمين، ولما كانـــت الفلسفة اليونانية وأساليب المنطق اليونانى قد ذاعت وانتشرت فى هذه المنطقة قبل ظهور الإسلام، لهذا فقد كان على اليهودى أن يواجه قضاياها فى مرحلة مبكرة، ولم يلبث أن تأثر بها، وكان ذلك واضحاً فى التفسير الرمزى للتوراة على يد فيلون السكندري، ثم جاءت المسيحية وظهرت حركة علماء الكـــلام المسيحي (كليمان وأوريجين)، وتسلح هؤلاء المدافعون عن الدين بالمنطق اليونانى وبالفلسفة اليونانية، لاسيما بالأفلاطونية المحدثة، وظهر الجدل بينهم حول الله وصفاته، والنبوة، والوحى، وحريـــة الإرادة أو عبـــادة الأيقونـــة، والثالوث الأقدس، وسر التجسد، وطبيعة المسيح، وانقسم المسيحيون بـــصدد هذه المسائل الى يعاقبة، ونساطرة، وملكانيين. وحينمـــا احتـــك المـــسلمون بالمسيحيين الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم وبأصحاب المقالات الملحدين والزنادقة والثنوية. اضطروا الى التـــسلح بالفلـــسفة وبـــالمنطق الأرســـطى لمواجهة هؤلاء الخصوم الذين حذقوا فن الجدل الديني ، فكان هذا سببا كافياً لنشأة علم الكلام[1].

---

(1) محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، .. ص 221 - 222.

إذن فالبدايات الأولى "للحوار" أو "الجدل" ترجع الى العصر الأول للإسلام عندما أثار أعداء الدين الجديد ، خاصة اليهود ، بعض المشكلات مثل مشكلة القضاء والقدر والجبر والاختيار ، وحرية الإرادة الإنسانية ... وكان اليهود – وهم على خلاف مع المسلمين – على دراية بالمنطق الأرسطى ، الأمر الذى مكنهم من إتقان فن الحوار والجدل . وأمام هذا الوضع لم يجد المفكرون المسلمون إلا أن يتعلموا المنطق الأرسطى الرد على الخصوم بنفس منطقهم[1].

واتخذ الجدل صورته النهائية عند المعتزلة. فلقد طالع شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين ترجمت أيام المأمون ، فخلطت مناهجها بمناهج علم الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم وسمتها باسم الكلام، إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هى مسألة الكلام، فسُمى النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة فى تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان[2].

ومن المعروف أن المعتزلة قد سموا بأصحاب النزعة العقلية فى الإسلام لتفسيرهم معظم مسائل العقيدة بالعقل ، الأمر الذى أوجب عليهم الدخول فى نقاش، وجدل ، ومناظرات مع أصحاب الطوائف التى رفضت مذهبهم العقلي، لاسيما أهل السنة والجماعة ، على ما يذكر الشهرستانى[3] من أنه كان بين المعتزلة والسلف فى كل زمان اختلافات فى الصفات ، وكان السلف يناظرونهم عليها لأعلى قانون كلامى ، بل على قول إقناعى

(1) أنظر ، مقالى : مقدمة فى علم الحوار العربى بجريدة الأهرام ، 2002/12/20 .

(2) الشهرستانى ، الملل والنحل بهامش كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ، المطبعة الأدبية القاهرة 1317 هـ ، ص 32 – 33 .

(3) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص 36.

مُستمد من الكتاب والسنة ، ويسمون الصفاتية ، فمن مثبت صفات البـــارى تعالى معانى قائمة بذاته، ومن مشبه صفاته بصفات الخلق ، كلهم يتعلقـــون بظواهر الكتاب والسنة، ويناضلون المعتزلة فى قدم الكلام على قول ظاهر. وكان عبد الله بن سعيد الكلابى ، وأبو العباس القلانسي ، والحارث المحاسبى أشبههم اتقاناً وأمتنهم كلاماً .

وإذا كان فن الحوار والجدل والمناظرة قد تأثر بالمنطق اليونـــانى ، وانتشرت المناظرات فى العالم الإسلامي بصورتها التى عرفت بها ، وهـــى أن تعقد بين متناظرين يعرض كل منهما آراءه وحججه على الطرف الآخر ، وتنتهى بترجيح آراء أحدهما في مجلس خاص أو عام ، فإننا نرجح أن هذه الصورة لم تتأثر فقط بالمنطق والمحاورات اليونانية ، بل تعتبر أيضاً صورة متطورة لما عرفته شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من مناظرات كانت تدار بين المذاهب ، ومن أمثلتها ما أورده الشهرستانى فى الملـــل والنحـــل مـــن مناظرات ، ومحاورات جرت بين الصابئة والحنفاء فـــى المفاضـــلة بـــين الروحانى المحض وبين البشرية النبوية(1). ويبين التحليل الداخلى لنصوص هذه المناظرات أنها قامت على نفس الأسس التى قامـــت عليهـــا منـــاظرات المجتمع الإسلامى فيما بعد ، من حيث حال المستدل ، والمجيب كما ذكر ابن خلدون فيما سبق . ويتضح ذلك بصورة جلية من الوقوف على مقتطفات من هذه المناظرات .

قالت الصابئة: الروحانيات أبدعت إبـــداعاً لا مـــن شـــئ لا مـــادة ولا هيولى ، وهى كلها جوهر واحد سنخ ، وجواهرها أنوار محضة لا ظلام فيها ، وهى من شدة ضيائها لا يدركها الحس ولا ينالها البصر .. والمـــادة والهيولى سنخ الشر ومنبع الفساد ، فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون

---

(1) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص 98.

كمحض الصورة والظلام ؟ كيف يساوى النور والمحتاج الى الازدواج والمضطر فى هوة الاختلاف ، كيف يرقى الى الدرجة المستغنى عنها ؟

أجابت الحنفاء: بم عرفتم معاشر الصابئة وجود هذه الروحانيات والحس ، ما دلكم وعليه والدليل ما أرشدكم إليه ؟

قالوا: عرفنا وجودها وتعرفنا أحوالها من عاذيمون وهرمس وشيث وإدريس عليهما السلام .

قالت الحنفاء: فقد ناقضتم وضع مذهبكم فإن غرضكم فى ترجيح الروحانى على الجسمانى نفى المتوسط البشرى فصار نفيكم إثباتاً، وعاد إنكاركم إقراراً[1] .

المناظرات فى العالم الإسلامى أسبابها، طبيعتها، نتائجها :

أما فى العصر الإسلامى فقد انتشرت مجالس الحوار والمناظرات بصورة كبيرة ، وخاصة مع بداية القرن الثالث الهجرى الذى يعد بمثابة البداية الحقيقية للنهضة العلمية التى عاشتها الأمة الإسلامية .

فكانت مجالس المناظرات إحدى صور الحركة العلمية المزدهرة والتى تمثلت فى نوعين من الدراسة ، وما يتعلق بها من علوم فرعية ، نوع ديني يرتبط بدراسة القرآن والحديث والفقه ، ونوع دنيوى يرتبط بدراسة الطب وما يتعلق به. ولكل نوع منهج خاص فى البحث وإن أثر كل منهما فى الآخر[2] فلقد اعتمد البحث فى العلوم النقلية على الرواية وصحة السند ، فى حين اعتمد منهج العلوم العقلية كالطب والطبيعة والرياضيات على

---

(1) انظر بقية تفاصيل هذه المناظرات فى الملل والنحل ، من ص 99 : ص 142.

(2) أحمد امين ، ظهر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة 1962 ، ص 12.

معقولية الحقائق واختبارها عن طريـــق المنطـــق أوالتجربـــة العلميـــة[1]. وبطبيعة الحال ، كان لكل نوع حواراته ومناظراته الخاصة به .

ومن الأسباب الأخرى التى ساعدت على إشغال جـــذوة الحـــوارات والمناظرات فى ذلك الوقت ، تشجيع خلفاء بنى العباس ، لاســـيما المـــأمون (198 - 218 هـــ / 813 - 833 م) الذى اشتهر بـــشغفه وحبـــه للعلـــم ورعايته لأهله ، وليس أدل على ذلك من قوله " قد يُسمى بعض الناس الشئ علماً وليس بعلم .. ولو قلت إن العلم لا يُدرك غـــوره ولا يُـــسبر قعـــره ، ولا تبلغ غايته ، ولا يستقصى أصنافه ، ولا يضبط آخره ، فـــالأمر علـــى ما قلت ، فإذا فعلتم ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً[2].

هذا الى جانب تشجيع معظم الوزراء والأمراء ، والولاة ، وإغداقهم الأموال والهبات على العلماء . فانتشرت المناظرات فى هذا العـــصر تبعـــاً للشغف العلمى وطمعاً فى عطايا الخلفـــاء والأمـــراء ؛ وإذا كـــان الخلفـــاء والأمراء يساهمون فى المناقشات ويشتركون فى الرأى ، فإن العلمـــاء قـــد استعدوا للمناظرة وتسلحوا لها رغبة فى الشهرة والحظوة[3].

وإذا كان ما سبق يمثل أهم الأسباب التى أدت الى انتشار وازدهـــار مجالس الحوار والمناظرات فى المجتمع الإسلامي، فإن مـــن أهـــم أثارهـــا الإيجابية أنها كانت سبباً كبيراً من أسباب الرقى العلمى؛ إذ أنها قد حفـــزت العلماء للبحث، فكانوا يطيلون النظر ويُعدون العـــدة الطويلـــة لمثـــل هـــذه المواقف[4] الأمر الذى انعس على الحركة العلمية إجمالاً.

---

(1) نفس المرجع ، ص 16.

(2) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص 557.

(3) خالد حربى، علم الحوار العربى الإسلامى – آدابـــة وأصـــوله، ط. الثانيـــة، دار الوفـــاء، الإسكندرية 2010، ص39.

(4) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ص 54.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن المرجح – من وجهة نظرى – أن معظم الاختلافات والنزعات – والتى اتخذت بعضها صوراً دموية – بين المذاهب والفرق الدينية قد ابتدأت بالجدل والنقاش حتى وإن كان بطريق غير مباشر، كأن يجتمع ميمون القداح مؤسس المذهب الإسماعيلى مثلاً بأتباعه، فيعرض عليهم دعاوى خصومه من المذاهب الأخرى، ثم يقوم بتفنيدها، ويدعوهم إلى مبادئ مذهبه، وفى هذه الحالة يقوم بدور المجادِل والمجادَل، وتستمر هذه العملية فى كل المناسبات إلى أن ينتصر أحد المذهبين المتعارضين، فتنتشر آراؤه ويكثر أتباعه.

وحقيقة الأمر يمكن اعتبار النزعات بين الفرق والطوائف الدينية فى تلك الفترة من الآثار السلبية لحركة الجدل والمناظرات التى شهدها المجتمع الإسلامى، إذ أنه لو اتخذت حركة الجدل سبيلها الصحيح القائم على النقاش العقلى والذى ينتهى بتسليم أحد الطرفين بحجج الطرف الآخر، لخفت حدة الصراعات بين المذاهب المتصارعة.

ولكن لا يمكن الزعم بأن فشل حركة الجدل فى مثل هذه الظروف هى وحدها السبب الرئيسى فى المنازعات بين المذاهب، بل كان هناك عامل آخر أكثر قوة، ألا وهو العامل السياسى. فلقد اشتعل النزاع فى العصر العباسى الأول بين السنة والشيعة حول مسألة الإمامة من ناحية، وبين أهل السنة والمعتزلة من ناحية أخرى، خاصة حول مسألة خلق القرآن من عدمه فقالت المعتزلة بخلقه، بينما تمسك أهل السنة، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ/ 855م) بالقول: "القرآن كلام الله لا أقول مخلوقاً أو غير مخلوق"، الأمر الذى عرضه للظلم وللاضطهاد من جانب المأمون، والمعتصم، والواثق، فقيدوه، وسجنوه، وعذبوه، حتى يرجع عما قال، ويأخذ بقول المعتزلة، لكنه ثبت ولم يتزحزح عن موقفه قيد أُنملة، فكانت فتنة

عظيمة اهتز لها العالم الإسلامى آنـذاك، وعرفـت فـى التـاريخ بمحنـة خلق القرآن.[1]

وقد شكلت هذه المحنة حركة كلامية كبـرى فـى القـرن الثالـث الهجرى، حمل لواءها "أهل الحديث". وقد كان الإمام أحمد بن حنبـل نقطـة تحول فى بناء هذه المدرسة. فهو لم يكن رجل فقه بقدر ما هو رجل حديث، أو بمعنى أدق كان رجل حديث أولاً، ومسّ الفقه برفق ثانيا. ولكـن موقفـه العظيم فى محنة "خلق القرآن" وهى مسألة كلامية بحته، هزت عقول أهـل الحديث. إنه لم يناقش ولم يجادل، بل ثبت على مـا اعتقـده أنـه الحـق، ولكن أهل الحديث من بعده ناقشوا وجادلوا[2].

ومن المناظرات التى تؤيد ما ذهبنا إليه، تلك المناظرة التى جـرت بين أبى الحسن على ابن إسماعيل الأشعرى، وبين أستاذه أبى على الجبـائى فى بعض مسائل وألزمه أموراً لم يخرج عنهـا بجـواب، فـأعرض عنـه وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية، فـصار ذلـك مذهباً منفرداً.

وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضى أبى بكر البـاقلانى، والأستاذ أبى اسحاق الأسفرأينى، والأستاذ أبى بكر بن فورك، وليس بيـنهم

---

(1) أنظر تفاصيل محنة خلق القرآن فى: إبن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبـد الوهـاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 1992، جـ10، ص358- 361. وابن الأثيـر، الكامل فى التاريخ، طبعة إدارة الطباعة المميزة، القاهرة 1357هـ، جـ5، ص222- 226. وتاريخ الطبرى، ج5، ص188 وبعدها. وشذرات إبن العماد الحنبلى، طبعة بيـروت د.ت، جـ2، ص39 – 45.

(2) راجع، على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفى فـى الإسـلام، الجـزء الأول، دار المعرفـة الجامعية 1999، ص261.

كثير اختلاف[1]. وقد صنف الباقلانى كتباً كثيرة فى علم الكلام .. وكان كثير التطويل فى المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة[2].

ونورد فيما يلى تفاصيل هذه المناظرة لما لها من أهميـــة تاريخيـــة خاصة إذ إنها تعتبر بمثابة السبب الرئيسى فى تأســيس وظهــور المــذهب الأشعرى الذى ساد معظم أرجاء العالم الإسلامى: "سأل أبو الحسن الأشعرى أستاذه أبا على الجبائى عن ثلاثة أخوة: أحدهم كان مؤمناً براً تقياً، والثـــانى كان كافراً فاسقاً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجبـــائى: أما الزاهد ففى الدرجات، وأما الكافر ففى الدركات، وأما الصغير فمن أهـــل السلامة، فقال الأشعرى: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هـــل يؤذن له؟ فقال الجبائى: لا لأنه يقال له: إنما وصل أخاك إلى هذه الـــدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعرى: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس منى، فإنك ما أبقيتنى ولا أقدرتنى على الطاعة، فقال الجبائى: يقول البارى جلّ وعلا: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصـــرت مستحقاً للعذاب الأيم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشـــعرى: فلـــو قـــال الأخ الكافر: يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالى، فلمَ راعيت مصلحته دونى؟ فقال الجبائى للأشعرى: إنك مجنون، فقال: لا، بل وقف حمار الشيخ فى العقبة"[3].

---

(1) الشهرستانى، الملل والنحل، ص36 – 37.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافـــة. بيـــروت (د.ت) ج1، ص481.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـــ4، ص267– 268.

وترجع أهمية هذه المناظرة أيضاً إلى أنها تحدد مسار آراء أبى الحسن الأشعرى بخاصة، واتجاهات المذهب الأشعرى بعامة، ذلك أن العقل الإنسانى قاصر عن الإحاطة بالحكمة فى أفعال الله، وأن الأحكام التوفيقية فى أفعال الله تترجح على الأحكام التوفيقية، أو التعليلية، وأن الفعل الإلهى لا يخضع لتقييم العقل البشرى، وموازينه. ومن ثم فإن هذا المبدأ العام إنما يحدد معلماً هاماً من معالم الفكر الأشعرى[1].

ومن هنا يمكن لنا أن نزعم أن ازدهار حركة الجدل والنقاش والمناظرات قد أدت إلى تغييرات جذرية فى بنية المجتمع الإسلامى الدينية ككل. فقد ظهر المذهب الأشعرى كرد فعل واضح على المعتزلة أئمة النقاش العقلى والجدل والمناظرات فى قضايا الدين.

وإلى جانب المذهب الأشعرى، ظهر الماتُريدى[2] وكان لكل منهما وجهة نظر متقاربة فى حركة الاعتزال، فكلاهما دعا إلى اتجاهات متقاربة تختلف فى إطارها العام عن مذهب الاعتزال الذى بالغ أصحابه فى التماس التفسير العقلى لعقائد الدين وقضاياه. وقد استهدف الفريقان، وأعنى بهما الأشاعرة والماتُريدية التوفيق بين مبادئ الاعتزال، وموقف أهل السنة القائم

---

(1) أحمد محمود صبحى، فى علم الكلام "2" الأشاعرة، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية 1992، ص47.

(2) الماتريدى: هو الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، والماتُريدى نسبة إلى قرية ماتريد أو ماتريت التى ولد بها، وهى من قرى سمرقند فى بلاد ما وراء النهر. أخذ العلم عن أئمة العلماء فى عصره. وتوسع فى علوم الدين من فقه، وأصول، وكلام، وتفسير، وكرّس حياته للدفاع عن العقيدة والرد على المنحرفين عن السنة، فرد على المعتزلة والقراسطة والروافض. ومن مؤلفاته: كتاب التوحيد – مآخذ الشرائع – كتاب الجدل – توفى سنة 333 هـ / 9441م. راجع الماتريدى، كتاب التوحيد، تحقيق فتح الله خليف، دار المشرق – بيروت 1970 المقدمة ص1– 3.

على التمسك بتعاليم السلف الصالح، وعدم قبول أى جديد، مع خلاف بسيط فى تطبيق هذا المنهج يرجع إلى ميل الأشاعرة إلى المذهب الشافعى، بينما تميل الماتريدية إلى المذهب الحنفى الذى يخفى وراءه قدراً من تعاليم المعتزلة يفوق القدر الذى بقى لدى الأشاعرة حتى قيل إن الماتريدية معتزلة مستترة. ويرى البعض أنها لم تتوسط بين السلف والمعتزلة كالأشعرية، بل توسطت بين المعتزلة والأشاعرة.(1)

وكانت الأشعرية هى الموقف الوسط فى كل مشكلة، فكانت الأكثر انتشاراً بين جمهرة المسلمين، واكتسبوا تأييدهم فى كثير من الأرجاء بينما اقتصرت الماتّريدية على الأقاليم الشرقية للعراق.

مما سبق نستطيع أن نزعم أن هناك علاقة طردية بين ازدهار العلوم، وبين كثرة ونشاط المناظرات ومجالس الجدل، فكلما نشطت حركة العلوم وراجت فى المجتمع، كلما كثرت المناظرات التى يتبارى فيها العلماء.

ومما لا شك فيه أن هذه المناظرات قد تنوعت تبعاً لتنوع العلوم ، فشهد المجتمع العلمى الإسلامى حوارات ومناظرات فقهية ، ومناظرات علمية ، ومناظرات أدبية ، ومناظرات طبية ... الخ ، وجدير بالذكر أن المناظرات كانت تدار بأسلوب معين قلما يخرج المتناظرون عن قواعده ، فإذا حدث وخرج أحد المتناظرين عن أدب المناظرة قوبل برد ممّن تُعقد المناظرة بحضرته ، كأن يكون الخليفة ، أو أحد الوزراء ، أو عالم جليل يوثق فى علمه .

---

(1) محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام، ص205.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما روى عن بشر المريسي حيث قال[1]:
حضرت مجلس عبد الله المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبى العباس ، وعلى بن الهيثم ، فتناظروا فى التشيع ، فنصر محمد بن أبى العباس الإمامة (الإمامية) ، ونصر على بن الهيثم الزيدية ، وجرى الكلام بينهما الى أن قال محمد لعلى : يا نبطى ما انت والكلام ! فقال المأمون: الشتم عىّ والبذاءة لؤم ، إنا قد أبحنا الكلام ، وأظهرنا المقالات ، فمن قال بالحق حمدنا، ومن جهل ذلك وقفناه ، ومن جهل الأمرين حكمنا فيه بما يجب فاجعلا بينكما أصلا ، فإن الكلام فروع فإذا افترعتم شيئاً رجعتم الى الأصول. قال : فإننا نقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمد عبده ورسوله ، وذكرا الفرائض والشرائع فى الإسلام ، وتناظرا بعد ذلك .

وعن طبيعة مجلس الحوار نفسه يحدثنا يحيى بن أكثم (قاضى البصرة من قِبل المأمون) أن المأمون كان يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ، أُدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا أخفافكم ، ثم أُحضرت الموائد ، وقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ، ومن خُفه ضيق فلينتزعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالمجامرة فبخروا وطُيبوا ، ثم خرجوا ، فاستدناهم حتى يدنوا منه ، ويناظرهم أحسن مناظرة ، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجرين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون[2].

---

(1) تاريخ الطبرى 205/5 بتصرف.

(2) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، ط الأولى بيروت 1965 ، جـ3، ص 432.

وهذا النص يوضح أن مناظرات المأمون (المحب للعلم وأهله) قد اتسمت باحترام وتبجيل العلماء ، وإكرام منازلهم ، فضلا عن مناظرته إياهم بدون أدنى علو أو تكبر .

وكان الواثق بالله محباً للنظر أيضا مكرما لأهله ، مبغضاً للتقليد وأهله ، محباً للإشراف على علوم الناس وأرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم من الشرعيين ، فحضر ذات يوم جماعة من الفلاسفة والمتطببين ، فجرى بحضرته أنواع من علومهم فى الطبيعيات وما بعدها من الإلهيات ، فقال لهم الواثق : قد أحببت أن أعلم كيفية إدراك معرفة الطب ومأخذ أصوله ، أذلك من الحس أم من القياس والسنة ؟ أم يدرك بأوائل العقل، أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب إليه جماعة من أهل الشريعة ؟ وقد كان ابن بختيشوع ، وابن ماسويه ، وميخائيل فمين حضر ، وقيل أن حنيناً بن اسحق وسلمويه كانوا فيمن حضر فى هذا المجلس أيضاً[1].

وغنى عن البيان أن هذه الأسماء كانت تمثل أقطاب الطب آنذاك ، وهذا إن دل على شئ ، فإنما يدل على أن مجالس المناظرات – وخاصة التى كانت تعقد فى حضرة الخلفاء والوزراء – كانت تدار بين أئمة العلماء فى التخصصات (الفروع) المختلفة .

وما نلاحظه أيضا أن أغلب مجالس الحوار والمناظرات كانت تنتهى بتصنيف كتب تتضمن تفاصيل ما ورد فيها من حوار علمى ، وذلك لينتفع بهذه الكتب من لم يحضر المناظرة . ومن ذلك ما قاله الواثق بالله لحنين بعد انتهاء المناظرة المشار اليها: أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات، فصنف لى

---

(1) المسعودى مروج الذهب 3 / 489 .

كتاباً تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك ، فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات ، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء المسهل وآلات الجسد.

وقد ذُكر أيضا أن الواثق سأل حنيناً فى هذا المجلس وفى غيره عن مسائل كثيرة ، وأن حنيناً أجاب عن ذلك ، وصنف فى كل ذلك كتاباً ترجمه بكتاب " المسائل الطبيعية " يذكر فيه أنواعاً من العلوم(1).

ومن المناظرات ما كانت تعقد لامتحان أحد العلماء فى علمه فى مناسبات خاصة ، ومن أمثلة هذا النوع ما روى عن الصاحب بن عباد أنه عرض له مرض صعب ، فأمر عضد الدولة بجمع الأطباء البغداديين وشاورهم فيمن يصلح أن ينفذ إليه ، فأشار الجميع - على سبيل الإبعاد له من بينهم وحسداً على تقدمه - الى جبرائيل بن بختيشوع . فاستدعاه عضد الدولة .. وقد أعد عنده أهل العلم من أصناف العلوم ، ورتب لمناظرته إنساناً من أهل الرّى ، فقرأ طرفاً من الطب ، وسأل جبرائيل عن الأشياء من أمر النبض ، فبدأ (جبرائيل) وشرح أكثر مما تحتمله المسألة ، وعلل تعليلات لم يكن فى الجماعة من سمع بها ، وأورد شكوكا ملاحا وحلها ، فلم يكن فى الحضور إلا أكرمه وعظمه . وخلع عليه الصاحب خلعاً حسنة ، وسأله أن يعمل له كُناشا يختص بذكر الأمراض التى تعرض من الرأس الى القدم ولا يخلط بها غيرها . فعمل كناشه الصغير وهو مقصور على ذكر الأمراض العارضة من الرأس الى القدم حسبما أمره الصاحب به . وحمله إليه ، فحسن موقعه عنده ووصله بشئ قيمته ألف دينار . وكان يقول دائماً : "صنفت مائتي ورقة أخذت عنها ألف دينار"(2).

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحاق، ص 52.

(2) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ص 211 - 212 بتصرف.

وقد كانت مجالس الحوار والمناظرات علامة على أن العلم قد بلغ ببعض العلماء حداً الى الدرجة التى معها كان يناظر، ويجادل لافرداً واحداً، بل مجموعة من الأفراد قد يصل عددهم الى عشرة . فمن أخبار جبرائيل أنه اجتمع فى بعض الأوقات مع عشرة أطباء من أهل زمانه ، وفيهم داوود بن سرافيون وتحادثوا طويلا وجرى حديث شرب الماء عند الانتباه من النوم فقال داوود بن سرافيون : ما فى الدنيا أحمق ممن يشرب الماء عند الانتباه من نومه . فقال جبرائيل : أحمق منه من يتضرم نار على كبده فلا يطفئها . فقال غلام : فكأنك تطلق شرب الماء عند الانتباه من النوم . فقال له جبرائيل: أما محرور المعدة ومن أكل طعاما مالحا ، فأطلقه له ، وامنع مرطوبى المعدة ، وأصحاب البلغم المالح فإن فى منعهم شفاء لما يجدونه ، فقال الحدث: وقد بقيت الآن واحدة ، وهى أن يكون العطشان يفهم من الطب مثل فهمك فيعرف عطشه من مرارة أو من بلغم مالح ، فضحك جبرائيل ، وقال متى عطشت ليلا فأبرز رجالك من دثارك ، فاصبر قليلاً، فإن تزيد عطشك فهو من حرارة أو من طعام تحتاج الى شرب الماء عليه، فاشرب ، وإن نقص عطشك ، فامسك عن شرب الماء ، فإنه بلغم مالح "[1] .

ومن المناظرات ما كانت تنعقد على فترات قد تطول ، وقد تقصر حتى يتغلب أحد المتناظرين على الآخر . ومن أمثلة هذا النوع ما جاء فى كتاب أعلام النبوة لأبى حاتم الرازى ؛ إذ تضمن فصولاً فى ذكر ما جرى بينه ، وبين الرازي الطبيب الذى ناظره فى أمر النبوة عند اجتماعهما فى مجلس بالرّى تارة بعد تارة ، حيث رد الأول على الثانى قوله بقدم الخمسة : البارى ، والنفس ، والهيولى ، والمكان ، والزمان ، وقوله أن أهل الشرائع أخذوا الدين عن رؤسائهم بالتقليد ودفعوا النظر والبحث عن الأصول ،

---

(1) القفطى ، الأخبار ، ص 101.

وطعنه فيما أتى من الروايات أن الجدل فى الدين والمرآء فيه كفر ، ومن عرض دينه للقياس لم يزل الدهر فى التباس ، ولا تتفكروا فى الله وتفكروا فى خلقه ، والقدر سر الله فلا تخوضوا فيه، وإياكم والتعمق فإن من كان قبلكم هلك بالتعمق ، وغير ذلك من أشباهه وما شاهده من الاختلاف بين قوم كل نبى مما احتج به على دفع النبوة[1].

ونورد فيما يلي أجزاء من المناظرات بين الرازيين لما فيها من أمور مهمة ينبغى الوقوف عليها .

قال أبو حاتم الرازي : وفيما جرى بينى وبين الملحد أنه ناظرنى فى أمر النبوة وأورد كلاماً نحو ما رسمه فى كتابه الذى ذكرناه .

فقال: من أين أوجبتم أن الله اختص قوماً بالنبوة دون قوم ، وفضلهم على الناس ، وجعلهم أدلة لهم ، وأحوج الناس اليهم ؟ ومن أين أجزتم فى حكمة الحكيم أن يختار لهم ذلك ، ويُشلى بعضهم على بعض ، ويؤكد بينهم العداوات ، ويُكثر المحاربات ويهلك بذلك الناس !

قلت : كيف يجوز عندك فى حكمته أن يفعل ؟

قال : الأولى بحكمة الحكيم ورحمة الرحيم أن يُلهم عباده أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم فى عاجلهم ، وآجلهم ، ولا يفضل بعضهم على بعض ، فلا يكون بينهم تنازع ، ولا اختلاف فيهلكوا . وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم أئمة لبعض فتصدق كل فرقة إمامها وتكذب غيره ، ويضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف ويعم البلاء ويهلكوا بالتعادى والمجاذبات . وقد هلك بذلك كثير من الناس كما نرى .

---

(1) المناظرات بين الرازيين ، ضمن رسائل فلسفية ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،الطبعة الخامسة 1982 ، ص 293 .

قلت : ألست تزعم أن البارى جل جلاله حكيم رحيم ؟

قال : نعم .

قلت : فهل ترى الحكيم فعل بخلقه هذا الذى تزعم أنه أولى بحكمته ورحمته، وهل احتاط لهم فألهم الجميع ذلك وجعل هذه الهبة عامة ليستغنى الناس بعضهم عن بعض وترتفع عنهم الحاجة ؛ إذا كان ذلك أولى بحكمته ورحمته ؟

قال : نعم .

قلت : أوجدنى حقيقة ما تدعى ! فإنا لا نرى فى العالم إلا إماماً ومأموماً ، وعالماً ومتعلماً فى جميع الملل والأديان والمقالات من أهل الشرائع وأصحاب الفلسفة التى هى أصل مقالتك ، ولا نرى الناس يستغنى بعضهم عن بعض بل كلهم محتاجون بعضهم الى بعض غير مستغنين بإلهامهم عن الأئمة والعلماء ، لم يُلهَموا ما أدعيت من منافعهم ، ومضارهم فى أمر العاجل والآجل ، بل أحوجوا الى علماء يتعلمون منهم ، وأئمة يقتدون بهم وراضة يرضونهم . وهذا عيان لا يقدر على دفعه إلا مباهت ظاهر البهت والعناد ، وأنت مع ذلك تدعى أنك قد خصصت بهذه العلوم التى تدعيها من الفلسفة ، وأن غيرك قد حُرم ذلك وأُحوِجَ اليك ، وأوجبت عليهم التعلم منك والاقتداء بك .

قال : لم أُخصّ بها أنا دون غيرى ، ولكنى طلبتها وتوانوا فيها ، وإنما حُرموا ذلك لإضرابهم عن النظر ، لا لنقص فيهم . والدليل على ذلك أن أحدهم يفهم من أمر معاشه وتجارته وتصرفه فى هذه الأمور ويهتدى بحيلته الى أشياء تدق عن فهم كثير منا . وذلك لأنه صرف همته الى ذلك . ولو صرف همته الى ما صرفت أنا إليه وطلب ما طلبت، لأدرك ما أدركت.

قلت : فهل يستوى الناس فى العقل والهمة والفطنة أم لا ؟

قال : لو اجتهدوا واشتغلوا بما يعنيهم لاستووا فى الهمم والعقول .

لابد لنا وأن نتساءل الآن عن البعد المعرفى الكامن فى هذه المناظرات . وعن الاستنتاجات التى يمكن أن نتوصل اليها من خلال تحليلها ونقدها . ولابد لنا أيضا أن نشير الى أن أبعاد التحليل الداخلى تكشف لنا بعض الأمور المهمة التى لابد من استنتاجها إيجابا أو سلبا فيما يتعلق بحركة الحوار والمناظرات معرفيا ومنطقياً ، وهو ما يمكن أن نشير إليه فى القضايا التالية :

الخروج عن أدب الحوار والمناظرة ، حيث وصف أبو حاتم الرازى، الرازى الطبيب بالإلحاد . ومثل هذه التعديات تعد من قبيل سلبيات فن الحوار والجدل والمناظرة .

يتبين من المناظرات اختلاف بعض الناس فى فهم بعض قضايا الدين، ويلجأ أصحاب النظر فى الكتب منهم الى تفسيرات قد تكون مقبولة على الأقل بالنسبة لهم ، ولمن يشايعونهم ، وغير مقبولة عند خصومهم .

لا يقتصر تحصيل العلم على أُناس دون غيرهم ، فأى إنسان يستطيع أن يطلب العلم ويفهمه ؛ إذا صرف همته إليه ، ولم يتوان فى تحصيله . ولا يعنى وجود فئة متعلمة دون أخرى إلا إضراب الفئة الثانية عن النظر، لا لنقص فيهم .

يُفهم من كلام الرازى الطبيب أن العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس كما قال أفلاطون فى العصر اليونانى ، فلو اجتهدوا وأشتغلوا بما يُعنيهم لاستووا فى الهمم والعقول .

ومما لا شك فيه أن مثل هذه النماذج لم تكن وحدها التـــي وُجــدت آنذاك، بل لابد وأن المناظرات ومجالس الجدل قد تنوعت تبعاً لتنوع العلـــوم المزدهرة فى ذلك الوقت .

ويمكننا أن نتعرف على طبيعة مجالس مناظرات أخرى خاصة بعلوم أخرى – خلافا لما سبق – ، ونقصد بهـــا مجـــالس المنـــاظرات الفلـــسفية والمنطقية ، خاصة وأن الفلسفة والمنطق من بين علوم (الآخر) الوافد الى العالم الإسلامي ، أو (الأنا) ، وذلك فيما يلي :

من أمثلة هذا النوع من المناظرات ما دار بين ابن أُسيد وثابت بـــن قرة. فقد ناظر ابو موسى عيسى بن أُسيد ، أبا الحسن ثابت بن قرة الحرانى فى عدة مسائل منها : أمر النفوس أهى متناهية أم لا ....؟ وعلم الله بالكليات دون الجزئيات . وسأله أبو الحسن (ثابت بن قرة) عن أن مـــن الأنـــواع متناهية وأن منها ما كان فى مرتبة واحدة تحت جنس واحـــد فلـــيس يتقـــدم بعضها بعضاً فى الطبع ، ولا يحتاج بعضها الى بعض . وسأله أيضاً عـــن قضية يستعملها كثير من جلة المفسرين وهى أن ما لا نهاية له لا يكون أكثر مما لا نهاية له . وسأل ابن أسيد عن التمييز بين الفصل الذاتى والنوع فإنـــه مشكل يغلط فيه كثير من الناس . وسأله أن يعطيه العلامة فى ذلك ، فأعطاه جملة خفيفة ، وقال : إن الفصل فى أكثر الأمر يكون أســـمه أســـم الكيفيـــة والنوع ، فاسمه مشتق من اسم الكيفية التى هى الفصل ، والفرق بين المشتق، وما اشتق منه ، وذكر أبو الحسن أنه لا يرى أن العدد ليس له وجـــود فـــى الأشياء كسائر الأعراض ، ولا هو حال محمولة فى المعدود ، بل إنما هـــو أمر يُحفظ فى النفس كما ذكر أيضا أن هذه سبيل كل الإضافات التى تقع فى الكمية مثل النصف والضعف وغيرهما من النسب، والعظـــم ، والـــصغر ،

والمساوى ، والأطول ، والأقصر ، وأنها أشياء تحدث فى النفس عند مقايستها بين المقادير .

وسأل ابن أُسيد عما اختلف فيه من عدد المقولات وهل يرى أنها عشر - كما قال أرسطوطاليس - أو أكثر من ذلك أو أقل ؟ ... وقال وجدنا أبا الحسن لا يرى الرأى المشهور فى عدة أنواع الكمية وأنها سبعة ، بل يميل الى أن ها هنا أنواعاً كثيرة للكمية توجد فى أشياء مختلفة ، وذكر أن ما توصف به الكيفية من أنها أشد أو أضعف أو مساوية ، ضرب من ضروب الكمية ، قال ابن أُسيد : فطال الكلام فى ذلك ، واختلفت بينى وبين أبى الحسن مناظرة فيها جوابات كثيرة ، واستقر آخرها على أن قال أبو الحسن: إنى ما أوجبت فى الأشياء أن تكون معدودة ويكون لها عدد سواها إلا متى كانت متباينة ، منحازاً بعضها عن بعض[1].

يتبين من هذه المناظرة الفلسفية أنه من كان يتصدى لمثل هذا النوع من المناظرات لابد أن يكون حاذقاً فى فنون الفلسفة ، حكيما يمسك بناصية معظم العلوم والمعارف التى كانت تندرج تحت عباءة أم العلوم . ونحن نعلم أن ثابتا بن قرة لم يكن فى زمانه من يماثله فى صناعة الطب ولا فى غيره من جميع أجزاء الفلسفة والتنجيم والهيئة والحساب والهندسة . وكان عيسى بن أسيد تلميذ ثابت بن قرة ، وعنه أخذ ، وبه برع فى فنونه[2] الى درجة أنه ناظره وجادله!. وكل ذلك يبين مدى تأثير علوم الآخر فى العالم الإسلامي .

---

(1) أنظر تفاصيل هذه المناظرة فى مجلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، الصادرة عن معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بألمانيا ، المجلد الحادى عشر 1997 ، ص 145.

(2) القفطى ، الأخبار ، ص 164 .

يتضح مما سبق أن مجالس المناظرات والجدل قد لعبت دوراً هامـــاً في إيجاد علماء وعلوم متنافسة بصورة خاصة بتلك المجالس. لكن لم يقتصر الأمر على مجالس الحوار والمناظرات فقط ، حيث لعبت مراكز الثقافة التى انتشرت فى المجتمع الإسلامي فى ذلك الوقت ، والتى جذبت اليهـــا رجـــال العلم والأدب ، لعبت دوراً آخر فى إيجـــاد العلمـــاء والعلـــوم المتنافـــسة ، والتى كانت تمثل مدناً ومراكز بعينها داخل المجتمع العلمى الإسلامي ككل .

ففى مركز أصبهان أو الرّى كان بلاط بنى بويه هناك كعبة يؤمهـــا العلماء ، ورجال الأدب الذين ينافسون نظـــراءهم فـــى الـــبلاط الـــسامانى فى بخارى مطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر . ذكـــر أبـــو جعفر الموسوى أن والده أبو الحسن اتخذ دعوة ببخارى فى أيام الأمير نصر الثانى بن أحمد (301 – 330 هـــ / 913 – 941 م) جمع فيهـــا أفاضـــل غربائها من العلماء والأدباء .. وأقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أهـــداب المذاكرة ، ويتهادون ريحان المحاضرة . وقد تمتع بلاط الـــسلطان محمـــود الغزنوى فى غزنة بشهرة واسعة ، ونقل كثيراً من المؤلفات الى غزنة ، كما كان من أكثر السلاطين ميلا الى الأدب – على الرغم من إساءته لرجالـــه – ومن أخباره أنه كاتب بلاط خوارزم قائلا : قد علمت أن ببلاط خوارزم شاه كثير من العلماء الذين نبغ كل منهم فى فنه مثل فلان وفـــلان ، وعليـــك أن ترسلهم الى بلاطي ليكون لهم شرف المثول بين يدى ، ونقوى على الاستفادة من علمهم وحذقهم، وأرجو من أمير خوارزم أن يسدى إلينا هذا الجميـــل ، وأُجيب طلبه.

وهنا ينتقل التنافس من بين الجماعات والمدارس العلمية فى الأقطار الإسلامية الى السلاطين ، والملوك ؛ إذ أن معظم ســـلاطين وملـــوك هـــذا العصر كانوا يتفاخرون بمكانة أقطارهم العلمية بـــين الأقطـــار الإســـلامية

المختلفة . ففى بلاط الحمدانيين فى الموصل ، وفى حلـــب خاصـــة كانـــت حضرة سيف الدولة مقصد الوفود ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء . ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شـــيوخ الشعر ونجوم الدهر[1].

وفى بلاط الطولونيين والإخشيديين والفاطميين اشتهرت مصر بطائفة كبيرة من العلماء والمحدثين والمتصوفة والأدباء والشعراء والمؤرخين منهم: القاضى بكار بن قتيبة ، وذو النون المصري المتصوف ، والربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعى، وابـــن الحكـــم المتـــوفى ســـنة 257هـــــ / 870 م، وأول مؤرخى مصر الإسلامية . وبلغ الأدب بمصر فى عهـــد الطولـــونيين درجة عظيمة من التقدم ، فقد روى أن فهرست أسماء شعراء ميـــدان ابـــن طولون كان يقع فى إثنى عشر كراسة . أما مدينة الفسطاط فقـــد عـــاد لهـــا رونقها وبهاؤها بعد تخريب مدينة القطائع على أثر زوال الدولة الطولونيـــة سنة 299 هـــ / 911 م ، فنبع فى عهد الإخشيديين كثيـــر مـــن الفقهـــاء ، والأدباء ، والمؤرخين ، والشعراء ، وأصبحت مساجد عمرو ، وابن طولون، والأزهر ، والحاكم مراكز هامة للثقافة لا سيما بعد أن حول يعقوب بن كلس الأزهر فى سنة 378 هـــ / 988 م الى جماعة تدرس فيها العلـــوم والآداب بعد أن كان مقصوراً على إقامة الدعوة الفاطمية . وفى بلاط الأمويين نافست قرطبة بغداد ، والقاهرة ، وبخارى ، وغزنة ، وأصبهان وغيرها من أمهات المدن الإسلامية ، فأصبحت حاضرة الأندلس سوقاً نافقة للعلم وكعبة لرجال الأدب .. ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء ، والـــشعراء ، والأدبـــاء ، والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم[2].

---

(1) راجع د . حسن إبراهيم ، تـــاريخ الإســـلام الـــسياسي والـــديني والثقـــافى والاجتمـــاعي، جـــ 3 / 340 - 343 .

(2) راجع المرجع السابق ، جـــ3 ، ص 343 - 344 .

وقد شهد المجتمع الإسلامي شكلاً آخر من الحوار والمناظرات غير الشكل المتعارف عليه من انعقاد مجلس يتبارى فيه المتناظرون وجهاً لوجه ، فكثيراً ما كان العلماء ، والفلاسفة ، والأدبــاء ، والــشعراء ، يتجــادلون ، أو يتناظرون كتابة دون أن يرى الواحد منهم الآخر ، ولكنهم يعرفون بعضهم بعضاً من قراءة ، وإطلاع كل طرف على كتب الطرف الآخر. وفى أحيــان كثيرة نجد العالم ، أو الفيلسوف ، اللاحق يحاور ويجادل ويناظر السابق عليه بفترات زمنية قد تطول لتصل الى قرون ونقصد بهذا النوع من المنــاظرات ما يسمى " بالردود " كأن نقول كتاب زيد فى الرد على عمرو .. وهكــذا . ومن أمثلة هذا النوع ما يلي :

رد حميد الدين الكرمانى المتوفى سنة 411 هـ / 1020 م فى كتابه "الأقوال الذهبية فى الطب النفساني " على كتاب الرازي الطبيب المتوفى سنة 313 هـ / 925 م "الطب الروحانى". قال حميد الدين الكرمانى فى القــول الثانى من الباب الأول من كتابه بعد ذكره مقدمة كتاب الطــب الروحــانى : هذا فصل قوله ومحصوله إن ما كان تكلم عليه فى إصلاح الأخلاق جعلــه كما رسم له فى كتاب موجز موسوم بالطب الروحانى ليكون قرينــاً لكتابــه المنصورى فى الطب الجسمانى وعديلاً له لما فيه من عموم النفع وشموله . وتأملنا الكتاب المنصوري ووجدناه مشتملاً من صنعة التأليف وحسن الترتيب ذكراً للأعلال على ترتيبها وتشفيعها ، ليس كما جعله قريناً لــه وعــديلاً .. إن العديل إنما يجعل عديلا لما عادله بموازنة ومشابهة تجمعانهما . ولمّا كان ما جعله عديلا للكتاب المنصورى من كتابه فى الطب الروحانى غير مشابه له إلا فى التأليف والتبويــب، كــان تــسميته للكتــاب بالطــب الروحــانى خطأً كبيراً[1].

---

(1) ماهر عبد القادر محمد، فلسفة العلوم، الميثودولوجيا (علم المناهج)، دار المعرفــة الجامعيــة 2000، ص191.

هذا النص لحميد الدين الكرمانى يوضح بصورة جلية مدى تمسك العلماء بأخلاقيات النقد العلمى الحديث من عدم الوقوف على ذكر مواضع الخطأ فقط ، ولكن الاهتمام ببيان أوجه الحسن بنفس قدر بيان أوجه المساوئ.

وما نلاحظه أن القدماء تنبهوا الى الكثير من المزالق التى تفسد البحث العلمى، وأشاروا اليها واعتبروها واجبة الاعتبار ، إذ وجدناهم ينوهون فى صدر البحث دائما الى القواعد البحثية الأخلاقية التى ينبغى وضعها فى الاعتبار ، وكأنهم بذلك أرادوا أن ينبهونا الى أهمية القيم فى البحث العلمى(1).

وعلى ذلك نجد الكرمانى يبتدئ نقده لكتاب الرازي " الطب الروحانى " بالإشادة بصاحبه على تأليفه لكتابه " المنصورى " ، ثم يعيب عليه تشابه " الطب الروحانى " مع " المنصورى " فى التأليف والتبويب .

ثم يستطرد الكرمانى فى بيان أوجه النقص – التى يراها هو – فى كتاب الطب الروحانى ، فيذكر مثلاً أن هذا الكتاب يخلو من ذكر الأمراض النفسّية والأمور المزّيلة لها .

ولكننا نرى – من منطلق قاعدة التواصل المعرفى – أن الكرمانى قد أخطأ فى وصفه للكتاب بهذه الصورة ؛ إذ أن المطلع حتى على فهرست كتاب الطب الروحانى للرازى سوف يدرك للوهلة الأولى أن الرجل قد تحدث عن بعض الأضطرابات النفسية . وإلا فما القول فى فصول من الكتاب تحمل عناوين مثل : فى قمع الهوى وردعه (الفصل الثاني) – فى دفع العجب (السادس) – فى دفع الحسد (السابع) – فى دفع المفرط

---

(1) الرازي ، كتاب الطب الروحانى ، ضمن رسائل فلسفة ، م . س ، ص 15 – 16.

الضار من الغضب (الثامن) فى صرف الغم (الثانى عشر) أليست هـذه الأمور ، وأعنى بها : الهوى ، والعُجب ، والحسد ، والغضب ، والغم من قبيل الاضطرابات النفسية التى تتطلب العلاج ؟!

كما أن الكرمانى غير محق فى قوله: "ولا فائدة مـن قراءتـه "[1]، لأن موضوعات الكتاب مفيدة جداً على الأقل بالنسبة للطبيب والمعالج النفسي كأخلاق ينبغى التمسك بها ، خاصة وهو يعالج الاضطرابات النفسية .

إن التاريخ العلمى للحضارة العربية الإسلامية مليئ بهذا النوع من الكتابات التى اتخذت النقد سبيلاً للوقوف على الحقيقة ، والوصول اليها فالنقد هو عماد الأبحاث ، ومحورها ، وهو يدل على الوعى الفكرى أوضح دلالة ، ويشير الى النشاط الواعى للإنسان المفكر.

حوار بين الأنا والآخر :

وقد شهد المجتمع العلمى الإسلامي أيضاً نوعاً خاصـاً جـداً من الحوارات، وتأتى خصوصيته من جانبين ، الول يتمثل فى أن الحوار يـدور بين علمين مختلفين. والثانى يتمثل فى أن كل محاور يمثل أمة بأثرها من خلال دفاعه عن علمها ، وهجومه على علم محاوره الذى يمثل أمة أخرى . ومن أشهر مناظرات هذا النوع ، تلك المناظرة التـى دونهـا أبـو حيـان التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة[2] بين النحو ، ممثلا فى أبى سعيد السيرافى (ت 368 هـ/ 978 م) والمنطق ممثلاً فى أبى بـشر متـى بـن يـونس (ت 328 هـ / 939 م) ودارت المناظرة فى حضرة الوزير ابن الفرات .

---

(1) الرازي ، الطب الروحانى ، ص 16 .

(2) أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، ضبط وتصحيح أحمد أمـين ، وأحمـد الـزين ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1939 . والمناظرة تقـع فـى الجـزء الأول من ص 107 الى ص 128.

وتكشف المناظرة بوضوح بين المنطق والنحو عن حوار بين الوافد والموروث. وهو حوار طبيعي ينشأ فى كل عصر بين ثقافتين، الدخيلة والأصيلة ، بين أنصار الثقافة العامة وأنصار الثقافة الخاصة، بين ثقافة العجم وثقافة العرب، بين علوم الأوائل وعلوم الأواخر، أو بين المتقدمين والمتأخرين ، وهو نفس التقابل الموجود حالياً بين ثقافتنا المعاصرة بين أنصار الثقافة الغربية، وأنصار الثقافة الإسلامية. فقد كان اليونان قديماً يمثلون الغرب حديثاً ، والسلف هم السلف قديما وحديثا. كان المنطق والفلسفة يمثلان علوم اليونان قديماً، وأصبح العلم وتطبيقاته يمثلان الغرب حديثا[1].

ويوضح التحليل الداخلى لنص المُحَاورَة أنَّها تَشْتَمَل على ثلاث مستويات تمثل الهجوم والدفاع المُتَبَادَل بين النحو والمنطق . وتكشف عن النظم المعرفية التى تشكل البنية الداخلية للمحاورة ككل . والمستويات الثلاث هى كما يلي :

الأول : المنطق مرتبطا باللغة:

واجه أبو سعيد السيرافى أبو بشر متى بن يونس قائلاً : حدثنى عن المنطق ما تعنى به ؟ قال متىّ : إنه آلة من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه. وهذا خطأ عند النحوى (السيرافى) لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كان الكلام بالعربية ، وفاسد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كان البحث بالعقل . كما أن واضع المنطق يونانى فالتزم باللغة اليونانية ، وعليه فلا يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه حكما لهم ، وعليهم ما شهد لهم به قبلوه ، وما أنكره رفضوه . ولكن المنطق على

(1) حسن حنفى ، هموم الفكر والوطن ، التراث والعصر والحداثة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1998 ، جـ1 ، ص 108.

رأى المنطقى (متى) يبحث فى الأغراض المعقولة .. والناس سواسية فى المعقولات ومبادئ الرياضيات ، فحاصل جمع أربعة الى أربعة هو ثمانية سواء عند جميع الأمم ، وكذلك ما أشبهه . وحتى إن كان الأمر كذلك فإن الأغراض المعقولة والمعانى المدركة لا يوصل اليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف. وبذلك يوجب السيرافى ارتباط المنطق باللغة ، ويقر متى بذلك[1].

الثانى: حاجة العلمين الى بعضهما:

عندما سأل السيرافى متّى عَن حرف واحد من حروف اللغة وهو حرف (الواو) وكيفية استخراج معانيه بمنطق أرسطو ؟ بهت متى وقال : هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقى إليه ، أما النحوى فحاجاته الى المنطق شديدة ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ ، والمعنى أشرف من اللفظ .

وهنا يرفض السيرافى أن يتمايز المنطق بالمعنى عن النحو باللفظ لأن النطق واللغة ، واللفظ والإفصاح ، والإعراب ، والإبانة ، الحديث ، والإخبار ، والاستخبار ، والفرض والتمنى ، والنهى ، والحضّ ، والدعاء ، والنداء ، والطلب كلها من واحد بالمشاكلة والمماثلة ... والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية ، والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي ، والمعنى عقلى .

فإن قال المنطقى : يكفينى من لغتكم هذه الأسم ، والفعل ، والحرف، ليبلغ بها الى أغراض قد هذبتها له اللغة اليونانية . قال النحوى : أخطأت ، لأنك فى هذا الأسم ، والفعل ، والحرف فقير الى وصفها وبنائها على

---

(1) التوحيدى ، الإمتناع والمؤانسة ، جـ 1 ص ص 109 - 111.

الترتيب الواقع فى غرائز أهلها ، وكذلك أنت محتاج بعد هذا الــى حركــات هذه الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، فإن الخطأ والتحريف فى الحركــات كالخطأ والفساد فى المتحركات . كما أن اللغة من اللغــات لا تطــابق لغــة آخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها ، فى أسمائها ، وأفعالها ، حروفها ، وتأليفها ، وتقديمها ، وتأخيرها ، واســتعارتها ، وتحقيقهــا ، وتــشديدها ، وتخفيفها ، وسعتها ، وضيقها ، ونظمها ، ونثرها ، وســجعها ، ووزنهــا ، وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره .

وينتهى السيرافى (النحوى) فى هذا المستوى الى رفض الثنائية بين اللفظ والمعنى ، بين النحو والمنطق لأن كل منهما محتاج للآخر ، فإدعــاء متى (المنطقى) بأن النحوى ينظر فى اللفظ دون المعنى ، والمنطقى ينظر فى المعنى لا فى اللفظ إدعاء باطل . وربما يصح ذلك لو أن المنطقى كــان يسكت ويجيد فكره فى المعانى ، ويرتب ما يريد بالوهم السانح ، والخــاطر العارض، والحدس الطارئ ، فأما وهو يزن ما صح له بالأعتبار، والتصفح الى المتعلم والمناظر ، فلابد له من اللفظ الذى يشتمل على مراده ، ويكــون طباقا لغرضه ، وموافقا لقصده[1].

الثالث : جودة العقل تغنى عن المنطق ولا تغنى عن النحو :

يذهب السيرافى فى هذا المستوى من المناظرة الــى أن الله إذا مــنَّ على إنسان بجودة العقل ، وحسن التمييز ، ولطف النظر ، وثقب الــرأى ، استغنى عن مغالق وشبكات المنطق مثل: الجــنس ، والنــوع ، والخاصــة والفصل ، والعرض ، والشخص والهَلّيّة (هل) والأيْنية (الأين) والماهيــة ، والكيفية، والكمية، والذاتية، والعرضية، والجوهرية، والهيولويه والصورية ، والأيسية والليسية (الإثبات والنفى) ... الى غير ذلك من مسائل منطقية يود

---

(1) التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، جـ 1 ص ص 114 - 116 ، ص 119.

المناطقة أن يشغلوا بها الجاهل على رأى النحوى (السيرافى) . وعلى ذلك فليست الحاجة ماسة الى كتاب البرهان كما زعم المناطقة لأن العقل قد استغنى قبله بغيره من الكتب ، والمنطق ليس هو العقل كما يزعم المناطقة ، فعبارة " كن منطيا " تعنى عندهم كن عقلانياً أو عاقلاً أو اعقلْ ما تقول ، لأن المنطق عندهم هو العقل وهذا قول مدخول ، لأن المنطق على وجوه هم عنها فى سهو. أما عبارة "كن نحوياً لغويا فصيحاً" فمعناها: أفهم عن نفسك ما تقول ، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك . ولو عرف المنطقى تصرف العلماء والفقهاء فى مسائلهم. ووقف على غورهم فى نظرهم وغوصهم فى استنباطهم ، وحُسن تأويلهم لما يَردُ عليهم ، وسعة تسقيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة ، والجهات القريبة ، والبعيدة ، لاستصغر نفسه ، ولما احتاج المنطق[1].

وانتهت المناظرة بانتصار السيرافى (النحو) على متى (المنطق) أى بانتصار وتعظيم علوم العرب على علوم اليونان . والحاضرون يتعجبون من جأش أبى سعيد الثابت ، ولسانه المتصرف ، ووجهه المتهلل ، وفؤاده المتتابعة . قال الوزير ابن الفرات مختتماً : عين الله عليك أيها الشيخ، فقد ندّيت أكباداً وأقررت عيونا ، وبيضت وجوها ، وحُكت طِرازاً لا يبليه الزمان ، ويتطرق إليه الحدثان .

ومن أهم أنواع المناظرات التى شهدها المجتمع العلمى الإسلامى، نوعاً مميزاً جداً، وأعنى به المناظرات الكتابية التى اتخذت المراسلات الكتابية سبيلاً لها. وتأتى أهمية هذا النوع من المناظرات من أن كل عالم من الاثنين المتناظرين، كان لديه فرصة أكبر لإجادة الرد على مناظره، فرصة لم تتوفر بالقطع لمن يناظر وجهاً لوجه فى مجلس المناظرة المعتاد.

---

(1) التوحيدى ، الإمتناع والمؤانسة ، جـ 1 ص ص 123 - 127.

ففى مثل هذا النوع من المناظرات الكتابية، ترى العـالم أو المفكـر يتلقى رسالة مناظره، فيعكف عليها بالدراسة والنقد، والتقليب فيما لديه مـن مصنفات فى موضع المناظرة. وبعد البحـث والتحـرى والتـدقيق، يبعـث لمناظره الرد، مقترناً فى أغلب الأحيان بسؤال جديد. وهكذا تستمر المناظرة بينهما لفترات معينة قد تطول، وقد تقصر بحسب موضوع المناظرة، الأمـر الذى يؤدى إلى تطور وتقدم موضوع العلم المتناظر فيه، خاصة وأن مثـل هذه المناظرات كانت تفرد لها مؤلفات خاصة، لينتفع بها بعد الفراغ منها.

ومما وصلنا من هذا النوع من المناظرات، ما ذكره أبـو الريحـان البيرونى عن المناظرة الكتابية التى دارت بينه وبين ابن سينا فى الطبيعات، فقال البيرونى: "ما جرى بينى وبين الفتى الفاصل أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا من المذكرات فى هذا الباب"[1].

ونورد فيما يلى قطوف من هذه المناظرة لما لها من أهمية فى تطور علم الطبيعة العربى، خاصة وأن طرفيها يعـدان مـن أئمـة هـذا العلـم، وهما أبو الريحان البيرونى، والشيخ الرئيس ابن سينا.

ففى المسألة الثالثة فى الطبيعات يدور الحوار كالآتى:

البيرونى: كيف الإدراك بالبصر، ولم ندرك ما يكون تحـت المـاء وشعاع العين ينعكس عن الأجرام الصقلية وسطح الماء صقيل؟

---

(1) أبو الريحان البيرونى، الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة 1923، ص257.

وقد جمع محاورات هذه المناظرة الكتابية، وحققها بالفارسية، سيد حـسين نـصر، ومهـدى محقق، ونشرت بمعرفة مركز المطالعات، جابخانة، مؤسسة انتشارات وجاب دانشكاه طهران 1352هـ.

ابن سينا: الإبصار عن أرسطو طاليس ليس هو بخروج شعاع من العين، وإنما ذلك قول أفلاطون، وعند التحصيل لا فرق بيّن بينهما، لأن أفلاطون أطلق هذا القول إطلاقاً عامياً أتى حسب ما يجّوز العامة، وقد بيّن ذلك الشيخ أبو نصر الفارابى فى كتابه "الجمع بين رأيى الحكيمين".

لكن الإبصار عند أرسطو طاليس إنما هو الإنفعال فى الرطوبة الجليدية فى العين لمماسة سطح المشف المستحيل عن الألوان القابل لها المؤدى لها عند المحاذاة للجرم المؤدى لونه، ولما كانت الرطوبة الجليدية مشفة استحالت وانفعلت عن اللون.

ومتى زالت هذه الرطوبة التى جعلت آلة حس بها القوة الرانية، أدركت هذه القوة ما ظهر فيها من التأثير، فكان ذلك إبصاراً، وبيان القول فيه تفسير المفسرين للمقالة الثانية من كتاب النفس للفيلسوف وتفاسيرهم لكتاب الحس له، فإذا كان كذلك والماء والهواء جسمان مشفان مؤديان إلى الحواس الرائية كيفيات الألوان، ارتفع ذلك الشك.

لم يقتنع البيرونى بإجابة زميله ابن سينا فأرسل إليه ثانية يقول:

"ما حصل من جوابك إلا تحديد البصر عند أرسطو لا التفسير، وربما احتاج هذا الشيئ على اختلاف كثير من التفاسير، ويجب مما قلت أن لا يميز الناظر بين الأبعاد، وأن يسرى الصغير بالقرب من الكثير بالبعد فى مكان واحد سواء.

وكذلك الأمر فى الأصوات، يجب أن يسمع صوت الحمير من البعد الأبعد كالخفى من البعد الأقرب، وأن لا يميز بين أصوات المصوتين، ولو كان المشف ينفعل باللون كان البلور إذا وضع عليه سواد من أحد جوانبه ثم نظر إليه من أحد الجوانب ما خلا المقابل للسواد يرى أسود،

وأيضاً لم يكن السؤال عن لمية الإدراك ما تحت سطح الماء، أى سألته عن إدراك بنفوذ البصر فيه مع إدراك ما قابل سطحه بإنعكاس الشعاع فى وقت واحد. وهنا يتولى الفقيه المعصومى تلميذ ابن سينا الرد على البيرونى قائلاً:

"ذكرت أنه لم يذكر فى الجواب إلا مذهب الفيلسوف فى إدراك البصر، نعم لأنك لم تسأله إلا عن كيفية الإدراك بالبصر، فبين ذلك أنه ليس بشعاع خارج من البصر بل هو تشكيل الألوان فى الرطوبة الجليدية فى العين بواسطة الهواء، إذ هو المشف المؤدى للألوان، لكنه لم يحصل ضياء كان مشفاً بالقوة، فإذا حصل الضياء صار مشفاً بالفعل وأدى الألوان إلى ما وراء الرطوبة المشفة فى العين، فصادمته وتشكلت فيه، ولهذا ليس له لون فى ذاته ليكون هو الذى يدرك به الألوان كالماء ليس له ذوق لأن الرطوبة هى التى بها يدرك الذوق".

وأما تمييز اختلاف الأبعاد والصغير والكبير بالبصر، فإن ذلك مسألة مستأنفة ولبيانها حاجة إلى تطويل، وكذلك الأصوات لأنا وجدنا الكبير البعيد والقريب الصغير يغايران على الاستقراء، فتصور بأنه ذلك، وحصل لنا به التمييز بينهما، ولو كان إنساناً لم يعهد جبالاً رفيعة السمك قط، فرأى جبلاً رفيعاً من بعيد لم يمكنه تصور مسافة ما بينه وبينه، وربما ظنه قريباً منه وأصغر فى الحجم لعلة اعتياده لذلك.

وأما من استقرأ اعتماد رؤية الجبال وأبعادها، لم يكد يخفى عليه البعد إذا رأى شيئاً منها، وكذلك من سمع صوتاً لم يعتده ولم يسمع بمثله قط، أو لم يعده كثيراً لم يمكنه أن يميز كثيرها على البعد من يسيرها على القرب كأصوات الصواعق والزلازل وما أشبهها، فقد ثبت أن هذا ليس لما ذكرت، بل لأجل العادة.

وأما الحديث على السودا، وقولك إنه يجب أن يرى أسود كله فباطل، فإن الأشياء المشفة وإن أدت الألوان إلى الإبصار فإنها تؤديها على المسامتة وعلى الخط الأقصر بينها وبين البصر لا على التقويس والإنحناء، فمقدارها يسامت البصَرَّ من السواد فى البلور يراه أسوده وما فضل عليه يراه أبيض.

وأما سؤالك عن كيفية إدراك البصر السمك تحت سطح الماء والنجوم فوق فى حالة واحدة، فكما تقوله فى إدراك شعاع البصر لهما جميعاً نقولـــه نحن فى تشكلهما فى العين.

البيرونى: "زعم أن الكواكب إذا تحركت حمى الهواء المماس لهـــا، وقد علمنا أن الحرارة بإزاء الحركة، والبرودة بإزاء السكون، وأن الفلـــك إذا تحرك حركته السريعة حمى الهواء المماس له، فكان منه النار المسمى أثيراً، وكلما كانت الحركة أسرع، كان الإحماء أبلغ وأشد، ومن الواضح البـــين أن أسرع الحركات فى الفلك التى هى فى معدل النهار، وإن كان ما قرب مـــن القطبين يكون أبطأ حركة...".

ويجيب ابن سينا بلفظه:

"ليست النار عند أكثر الفلاسفة كائنة بحركة الفلك، بل هـــى جـــوهر واسطقس بذاتها، ولها كرة وموضع طبيعى بذاتها كغيرها من الاسقطـــسات، وليس ما حكيت إلا مذهب من جعل الاسطقس شيئاً واحـــداً مـــن الأربعـــة أو اثنين أو ثلاثة منها مثل تاليس حين جعلها الماء، وهرقليطس إذ يجعلهـــا النار، وديوجالس إذ جعلها جوهراً بين الماء والهـــواء، وانكـــسندرس حـــين يجعلها هواء، ويجعل كل واحد منهم الأجرام الأخرى، والمتولدات عـــواض تعرض فى الجسم أية ما وصفوه، وأنه ليس يكون عن جسم آخر"، ويقـــول انكسمندرس "القول الذى حكيته أن الجوهر الأول هواء، فإذا أصابته كيفيـــة البرودة صار ماء، وإذا سخن من تحريك الفلك كان ناراً أو أثيراً".

أما أرسطو طاليس فلا يجعل شيئاً من الكليات الأربعة بكائن عن شيئ آخر، ويجوز ذلك فى جزئياتها، فليس إن هذا الاعتراض يلزم ارسطوطاليس ولا من بهذا القول، وهو القول السديد الصواب ...

وفى المسألة السابعة من مسائل أخرى فى الطبيعيات تجرى الأسئلة هكذا:

البيرونى: إذا كانت الأجسام تنبسط بالحرارة وتتقبض بالبرودة، وكان انصداع القماقم الصياحة وغيرها لأجل ذلك، فلم صارت الآنية تتصدع وتتكسر إذا جمد ما فيها من الماء.

ابن سينا: إن من نفس المسألة يمكن أن يخرج لها جواب، فإنه كما أن الجسم لما انبسط عند التسخين طلب مكاناً أوسع، فشق القمقمة، كذلك الجسم إذا انقبض عند التبرد وأخذ مكاناً صغيراً كان أن يقع الخلاء فى الإناء، فشق وانصدع لاستحالة ذلك، ولهذا من الطبيعة وجوه غير هذان وهى العلة لأكثر ما يقع من هذا، ولكن فيما ذكرنا كفاية فى الجواب.

حوار علمى راق، يوضح مدى الشوط الذى قطعه العلماء العرب فى سير البحث فى علم الطبيعة وتطوره وتقدمه، خاصة وأن طرفى الحوار البيرونى وابن سينا يعدان من أئمة هذا العلم.

نقد وتقييم:

بعد أن استعرضنا جوانب الموضوع، يمكن أن نخلص بالنتائج التالية:

شَكَّلَ فن الجدل والحوار والمناظرة أحد الركائز الهامة التى ارتكز عليها المجتمع الإسلامى إبان نهضته العلمية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين. فكانت مجالس المناظرات من أكبر العلامات المميزة للنضج العلمى الذى بلغه العلماء آنذاك.

وبالبحث عن المؤثرات التى أدت إلى ظهور الجدل والمناظرات فى المجتمع الإسلامى، رجحنا أن المناظرات التى عرفت فى ذلك الوقت تعتبر صورة متطورة لما دار فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من مناظرات ومحاورات عقائدية بين الطوائف المختلفة. ومن أشهرها، المناظرات والمحاورات التى جرت بين الصابئة والحنفاء فى المفاضلة بين الروحانى المحض، وبين البشرية النبوية. ثم اتخذ فن المناظرة، والحوار صورته النهائية التى عرف بها بتأثير المنطق الأرسطى، والفلسفة اليونانية فى عمومها. وذلك حينما استعان معظم مفكرى الإسلام فى العصر الأول بالمنطق الأرسطى للرد على خصوم كانوا يتقنون فن الجدل والحوار. ومع بداية النهضة العلمية الإسلامية انتشرت مجالس المناظرات انتشاراً واسعاً فى المجتمع العلمى الإسلامى تبعاً للشغف العلمى لدى العلماء على أثر حركة الترجمة، وبتشجيع من الخلفاء والوزراء والأمراء هؤلاء الذين رأوا فى انعقاد مجالس العلم والمناظرات فى قصورهم من الأمور الهامة فى تأسيس الرعية، فضلاً عن كون هذه المجالس مظهراً من مظاهر الأبهة والعظمة. ومما لا شك فيه أن هذا الجو العلمى قد أحدث نوعاً من التنافس

بين العلماء المتناظرين أفراداً كانوا، أم جماعات، الأمر الذى انعكس أثره على المجتمع العلمى ككل.

وكان من نتائج حركة التنافس داخل الجماعات العلمية وخارجها أن أقبل بعض العلماء، والأدباء على مذاكرة أكثر من علم وفن حتى يتميزوا عن غيرهم. ومن أمثلة هذا الصنف من العلماء – فضلاً عن ما ذكر فى سياق الموضوع، الفراء بن زياد الكوفى النحوى الذى قيل عنه: لولاه لما كانت عربية لأنه هذبها وضبطها. وقال ثمامة بن أشرس المعتزلى: ذاكرت الفراء فوجدته فى النحو نسيج وحده، وفى اللغة بحراً، وفى الفقه عارفاً باختلاف القوم: وفى الطب خبيراً، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً. وصنف الفراء للمأمون كتاب الحدود فى النحو، وكتاب المعانى، واجتمع لإملائه خلق كثير منهم ثمانون قاضياً. وعمل كتاباً على جميع القرآن فى نحو ألف ورقة لم يعمل مثله[1].

وبالبحث عن أنواع المناظرات، وجدنا أنها لم تختص بعلوم معينة دون سواها، بل شملت مجالس المناظرات معظم العلوم المعروفة آنذاك، وإن كانت قد ابتدأت بعلوم الدين، ثم تطورت إلى مناظرات علمية، وأدبية، وفلسفية، ومنطقية ... وغير ذلك مما قد آتينا على ذكره كل فى موضعه.

أما عن الأسس التى قامت عليها المناظرات وشكلت بنيتها الأساسية، فقد رأينا كيف أن مفكراً كإبن خلدون يضمن "مقدمته" الآداب والأحكام التى وضعها بعض الأئمة، والتى ينبغى على المتناظرين أن يقفوا عند حدودها فى الرد والقبول، فبين حال كل من المستدل والمجيب، وكيف يكون الأول مسئولاً، والثانى معترضاً مبيناً محل معارضته. ومتى يجب على المستدل

([1]) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، طبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د.ت) جـ2، ص19.

السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال. وقد رأينا كيف التزم المتناظرون والمتجادلون بهذه الآداب، وتلك الأحكام فى معظم المناظرات التى أوردناها، ولم يخرجوا عنها إلا فى القليل النادر، حيث كان هناك إتجاه عام بوجب سخط ورد من الحاضرين على من يخرج عن القواعد العامة للمناظرة. وقد رأينا كيف أوقف لمأمون، ولام محمد بن أبى العباس عندما تطاول على مناظره على بن الهيثم فى مناظرة دارت بين الاثنين فى حضرته.

ولقد كان لفن الجدل والنقاش والمناظرات تأثيراً بليغاً ليس فى المجتمع العلمى فحسب، بل فى اضطراب أحوال المجتمع الإسلامى ككل. فلقج رجحنا أن معظم الاختلافات والنزاعات بين المذاهب والفرق الدينية قد أبتدأت بالجدل والنقاش. وعادة ما يبدأ الجدل بفرد واحد لا يوافق على آراء فرقة أو جماعة ما، ثم يحدث أن يلتف حوله من يؤمن بأرائه، ويستمر الأتباع فى الأزدياد إلى أن يشكلوا جماعة جديدة أساسها هؤلاء الأفراد الذين يلتفون حول رئيسهم، ولهم هدف واحد مشترك هو إما التنافس، وإما الصراع ضد الجماعات الأخرى المناهضة لهم، وذلك بغرض سيادة آرائهم. وما دام الأمر يتعلق بتبنى آراء جديدة ومحاولة فرضها على المجتمع، فيمكن أن نطلق على أصحابها "جماعة ومدرسة علمية" بوجه من الوجوه. وعلى ذلك يمكن اعتبار المعتزلة "جماعة علمية"، والأشاعرة "جماعة ومدرسة علمية" والماتريدية "جماعة ومدرسة علمية" قامت كلها على التنافس فيما بينها من أجل انتصار كل جماعة ومدرسة لما تؤمن به من آراء.

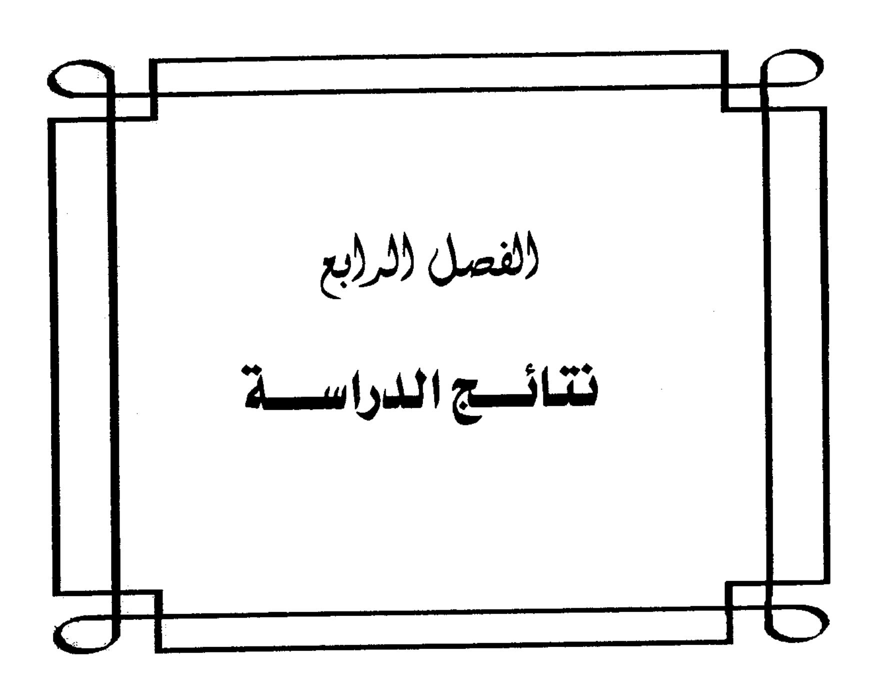
وإذا كان التنافس قد ساد بين هذه الجماعات والمدارس، فإن هناك من الجماعات والمدارس من أتخذت الصراع سبيلها، مثل الوحيد "ميمون القداح" مؤسس المذهب الإسماعيلى. وجماعة "الشيعة" التى صارعت أهل السنة حول مسألة الإمامة. ومما لاشك فيه أن آثار الصراع بين تلك

الجماعات قد انعكست على المجتمع الإسلامى بصورة سلبية فى الفترة التى يدور حولها البحث، وما زالت هناك بقايا لهذا الصراع فى الوقت الراهن.

أما الجماعات والمدارس العلمية البحتة، فمما لا شك فيه أنها قد تأثرت تأثراً بالغاً بنشاط المناظرات والجدل إن فى تكوينها، أو فى استمرارها وبقائها فى المجتمع العلمى الكبير. حيث نتصور أن العالم الذى كان يدخل فى مناظرة دعا لم آخر حتى ولأول مرة، ويحدث أن تنتهى المناظرة لصالحه، فسرعان ما ينضم إليه المريدون الذين يريدون التعلم عليه. وهؤلاء التلاميذ يشكلون باستمرارهم فى عملية التعلم جماعة ومدرسة علمية، ويصبح ذلك المعلم الأول هو رئيس تلك الجماعة والمدرسة.

وتسعى الجماعة والمدرسة رئيساً وأفراداً إلى تحقيق هدفها الرئيس، وهو العلم بكل ما يشتمل عليه من نظم ومراحل.

وبناء على ذلك فإننا نرى أن معظم العلماء الذين كانوا أطرافاً فى المناظرات التى آتينا على ذكرها فى سياق الموضوع قد شكلوا جماعات ومدارس علمية مميزة لعبت دوراً مهماً فى تقدم ورقى المجتمع العلمى الإسلامى فى ذلك الوقت، ومنهم جبرائيل بن بختيشوع، وحنين بن اسحق، والرازى الطبيب، وثابت بن قرة، وأبو حيان التوحيدى.



الفصل الرابع

نتائج الدراسة

سجّلنا فى معظم فصول هذا الكتاب بعض الاستنتاجات والنتائج التى لم يتحتم تأجيلها. وبعد أن استعرضنا جزئيات هذا الموضوع، كان علينا أن نستخلص النتائج من خلال الإجابة على التساؤل الذى طرحته، وللاجابة،اطرح النقاط التالية:

بيّنت الدراسة كيف كانت حركة الترجمة جسر عبور المسلمين الى علوم ومعارف الآمم الأخرى . فما أن أنطلق العرب شرقاً وغرباً لنشر الدعوة الإسلامية ، حتى تكامل مع هذه الإنطلاقة توجه أكيد الى علوم الحضارات القديمة ، فكان أن انطلقت أكبر حركة علمية للترجمة فى العالم الإسلامي ، حيث تكاتفت من خلالها أجناس مختلفة – السريان، والمسيحيون، واليهود ، والصابئة – جنباً إلى جنب مع الفرس والمسلمين. فلقد كان للسريان دور واضح وملموس باعتبارهم حلقة من حلقات السلسلة التى انتقل عبرها التراث من اليونان القديمة إلى المسلمين، فلقد قاموا بترجمة كثير من الكتب والمؤلفات الهامة من اليونانية، حيث كانت المجامع العلمية والفكرية التى تكونت فى مناطق الاتصال بين المسلمين واليونانيين بحاجة إلى جو من التسامح الفكري والعلمي بعدما تعرض له العلماء والمفكرون من اضطهاد فى ظل الحلم الروماني، وما كان الدين الإسلامي الجديد يدعو للتسامح وحرية ممارسة الفكر والبحث العلمي، فمارس العلماء والمفكرون حريتهم الفكرية كما يشاءون ولم يتعرضوا لأنواع الاضطهاد والتنكيل كما حدث لهم من جانب الرومانيين.

وقد وقفت أثناء البحث على أسماء كثير من النقلة السريان كان أبرزهم على الإطلاق حنين بن اسحق الذى شكل جماعة ومدرسة علمية ضمت ابنه اسحق، وحبيش بن الأعسم.. وغيرهما من عشرات التراجمة، فكان لهذه المدرسة الفضل فى نقل الكثير من علوم اليونان إلى العالم

الإسلامي. ومما هو جدير بالملاحظة أنه بالرغم من أن أعمال الترجمة قد تم معظمها على يد المسيحيين السريان، إلا أن عددا كبيرا من الترجمات قد كان من الإغريقية مباشرة على يد قوم درسوا هذه اللغة فى الإسكندرية، أو بلاد الإغريق. وكثيرا ما وضع المترجم نفسه ترجمتين من الإغريقية: إحداهما بالسريانية، والأخرى بالعربية.

هذا فيما يتعلق بعلوم اليونان، أما علوم الفرس، فلقد رأينا أن أشهر تراجمة الفرس، عبد الله بن المقفع، كان فى نهاية الفصاحة والبلاغة كاتبا وشاعرا وفصيحا. وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعا باللغتين فصيحا بهما، ألفاظه حكيمة ومقاصده من الخلل سليمة. وهو أول من اعتنى فى الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور. كما ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة، وهما: كتاب قاطيغورياس، وكتاب باري أرمنياس، وكتاب أنالوطقيا. وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكتاب كلية ودمنة، وله تآليف حسنة منها: رسالته فى الأدب والسياسة، ورسالته المعروفة باليتيمية وفى طاعة السلطان.. وغير ذلك من الكتب فى التاريخ، والعرف والعادات والنظم الشرائع.

وكذلك نقل الفضل بن نوبخت، أبو سهل الفارسي من الفارسي ما وجده من كتب الحكمة الفارسية. هذا بالإضافة إلى كتب أخرى عديدة نقلها المترجمون من الفارسية إلى اللغة العربية، ذكرت فى سياق البحث لكن الملفت للنظر أن "البرامكة" أصحاب الوزارة فى الدولة العباسية قد لعبوا دوراً هاماً فى نشر الثقافة الفارسية، يدل على ذلك ما ذكره ابن النديم عند حديثه عن كتاب "المجسطي" فى الفلك أن أول من اهتم بنقله وترجمته "يحي بن خالد البرمكي" الذى ندب لترجمته وتفسيره أبا حسان وسلمان صاحب بيت الحكمة، فأتقنا ترجمته وتصحيحه. ولقد رأينا كيف امتازت معظم

الترجمات من الفارسية إلى العربية بأن المترجم كان يتحرى الدقة أولاً في الوقوف على أدق وأصح نص للكتاب الذى ترجمه، فكان يجمع أكبر قدر من نسخ الكتاب، ثم يقابل بعضها ببعض، وذلك حتى يتحاشى الأخطاء المختلفة للناسخ فى معظم النسخ، وبعد أن ينتهى من عملية المقابلة ويضعه على أقرب نص أراده صاحبه، يبدأ فى عملية الترجمة تلك التى نقل على أثرها معظم علوم الفرس والمعروفة آنذاك.

كما رأينا كيف أثرت تلك الحركة تأثيراً بليغا فى المجتمع العلمي الإسلامي، والحضارة الإسلامية بصفة عامة، فقد كان هناك قوم أتقنوا اللغة الفارسية والعربية معاً، فعكفوا على قراءة الكتب الفارسية يتثقفون بها، ويرقون أفكارهم وعقولهم، ثم هم يخرجون باللغة العربية أدبا وشعراً وعلماً، وليس ما يخرجونه نقلا تاماً لكلام فارسي، ولكنه منبعث عنه ومتولد منه. وهؤلاء الفرس الذين تعربوا، وهؤلاء العرب الذين أخذوا بحظ من الثقافة الإسلامية، ملأوا الدنيا فى العصر العباسي علما وحكمة وشعرا ونثراً، فيها العنصر الفارسي واضح جلي، ومن حظ العربية وقتذاك أنها سادت اللغة الفارسية وغلبتها على أمرها، فكان من نتاج العقول الفارسية الراجحة إنما هو باللغة العربية لا الفارسية شعر الشاعر منهم عربي كبشار، وأدب الأديب منهم عربي كابن المقفع، وتأليف المؤلف منهم عربي كابن المقفع وابن قتيبة والطبري.. وغيرهم كما كان من أعظم التأثيرات الفارسية فى الحضارة الإسلامية أن يوجد بها كثير من الفرس كانوا من السابقين الأولين فى تدوين العلوم المختلفة ، فالإمام أبو حنيفة النعمان إمام المذهب ، وحماد الراوية جامع المعلقات العشر ، وراوى كثير من الشعر الجاهلى ، وبشار بن بُرد أبرز المحدثين من الشعراء ، وسيبويه الإمام المقدم فى النحو وتدوينه ، والكسائي أحد الأئمة الأعلام فى النحو واللغة وفنون الأدب والقراءات ،

وهو أحد القراء السبعة ، والفراء أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والفنون والأدب ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى العالم باللغة والغريب وأخبار العرب وأيامها ، وذو النزعة الشعوبية ، أبو العتاهية شاعر الزهد ، وابن قتيبة المؤرخ الأديب ، صاحب التآليف الكثيرة ككتاب المعارف ، وعيون الأخبار ، كل هؤلاء - وغيرهم ممن لم نذكرهم - كانوا فرساً ، وكان لهم أثر كبير فى الثقافة العربية الإسلامية .

أما علوم الهند ، فقد نقل الى العربية ما وصل الى العالم الإسلامي منها ، وخاصة مذاهب الهند فى علوم النجوم ، وبصفة أخص مذهب السند هند ، وهو المذهب الذى تقلده جماعة من علماء الإسلام وألفوا فيه الزيجة . ففى عام 145 هـ / 700 قدم الفلكى يعقوب الفزارى لبلاط المنصور عالماً هندياً أسمه (منكه) فجاء بكتاب السند هند (السدهانتا) وهو رسالة فى علم الفلك على الطريقة الهندسية وهذه الرسالة ترجمها الفزارى الإبن (إبراهيم) فخلقت اهتماماً جديداً بالدراسات الفلكية ، وبعد ذلك بقليل جمع محمد بن موسى الخوارزمى بين النهجين الإغريقى والهندى فى الفلك ، فأصبح هذا الموضوع بعد ذلك فى غاية الأهمية بين الدراسات العربية ، ونقل من علومهم أيضاً حساب العدد الذى بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي . كما وصل الى العالم الإسلامي من علومهم فى الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية " بيافر " وتفسيره ثمار الحكمة فيه أصول اللحون وجوا مع تأليف النغم . أما علم الطب فقد قدم ابن النديم ثبتاً يحتوى على أسماء كتب الطب الهندية التى وصلت الى العالم الإسلامي ، وعلى أسماء النقلة . وقد وقفت على كل ذلك فى سياق البحث . المهم أن الترجمة من الهندية والفارسية واليونانية والسريانية الى العربية أدت بطبيعة الحال الى خلق جو علمى نشط يعمل فى إطاره المترجمون ولديهم برامج علمية معينة

يسيرون وفقاً لها فى أثناء نقلهم وترجمتهم لعلوم الأمم الأخرى الـــى العلـــم الإسلامي . ورأينا أن أبرز هذه البرامج تمثلت فى المدارس العلميـــة التـــى شكلت بنية وأساس حركة الترجمة ذاتها . وقد وقفت على أهم وأشهر هـــذه المدارس ، وهى : مدرسة بختيشوع ، وانتهيت من كـــل هـــذا أن مـــدارس الترجمة التى شهدها المجتمع العلمى الإسلامي إبان نهضته العلمية ، كانـــت بمثابة جسر عبور المسلمين الى علوم ومعارف الآخر ، الأمر الذى ســـاعد على التطور والإبداع فى بنية العلوم العربية الإسلامية فيما بعد .

وفى هذا الإطار، كان لابد لنا أن نتتبع بالدراسة والتحليل نشاط بيت الحكمة باعتباره المؤسسة الأكاديمية الرسمية المعبرة عن نشاط الدولة.

لعلّنا قد لاحظنا واتضح لنا بعد تتبعنا لدراسة "بيت الحكمة" فى بغداد، مدى الدور الذى لعبه فى بنية المجتمع العلمى الإسلامى. فلقد وقفنـــا علـــى المبررات الدالة على وجود بيت الحكمة فى زمن الرشيد، ورأينـــا كيـــف أن الرشيد هو الذى بدأ تأسيس بيت الحكمة لتكون داراً عامة يقوم فيها التراجمة والعلماء بترجمة كتب الأمم الأخرى التى توافرت لهـــم آنـــذاك، وخاصـــة الفارسية منها. ورأينا أيضاً كيف أن هذه الدار فى عهد الرشيد قد تكونت من بناء كبير يضم مجموعة من الأقسام متمثلة فى عدد من الحجرات التى تضم خزانات الكتب، حيث خصص لكتب كل علم من العلوم خزانة خاصـــة بـــه. ولقد لعب النُّساخ والخزّان، والمجلدون، والوراقون دوراً هاماً فى مساعدة من يقومون بالعمل الرئيس فى بيت الحكمة، وهم التراجمة، ومن أشهرهم وقتئذ، أبو الفصل بن نوبخت الذى كان ينقل من الفارسية إلى العربية.

أما الخطوات التى قام بها المأمون لإخراج بيت الحكمة على الصورة التى اشتهر بها فى التاريخ. فيمكن أن نستنتج تلك الخطوات مما قدمناه فـــى نقاط محدودة فيما يلى:

عمل المأمون على اتساع بناية دار الحكمة حتى تناسب حجم النشاط العلمى الذى كان المأمون من أكبر العوامل التى أدت إلى ازدهاره آنذاك.

بذل المأمون كل ما فى وسعه لاقتناء نفائس الكتب المعروفة فى عصره – وخاصة من بلاد الروم – وبصفة أخص من القسطنطينية التى كانت بها مكتبة زاخرة بألوان العلوم والمعارف وقتئذ.

عمل المأمون على زيادة عدد التراجمة فى بيت الحكمة لترجمة الكم الكبير من الكتب التى جلبت إلى بيت الحكمة. ففى الوقت الذى لم نجد فى عصر الرشيد من مشاهير التراجمة سوى أبى سهل الفضل بن نوبخت، نجد فى عصر المأمون أسماء كثيرة من حذَّاق الترجمة من أمثال: الحجاج بن مطر، وابن البطريق، ويوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحق، وإسحق بن حنين، وحبيش بن الأعسم .. وغيرهم من التراجمة الذين قاموا تحت رعاية الخليفة العالم المأمون بمهمة تاريخية عظيمة.

قسَّم المأمون بيت الحكمة إلى قسمين كبيرين، قسم المكتبة العامة، وقسم الترجمة، ضم الأول خزائن الكتب، وقاعات القراءة، وضم الثانى أماكن خاصة للتراجمة تحتوى بلاشك على أدواتهم المستعملة أثناء العمل.

وتوافر التراجمة على عملهم بكل دقة وإتقان، فنقلوا إلى العربية ذخائر علوم الأمم الأخرى، والتى كانت بمثابة الأسس التى قامت عليها الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.

وفيما يتعلق بأنواع النشاطات العلمية التى وجدت فى بيت الحكمة، فلقد رأينا كيف أن هذه النشاطات قد اقتصرت على الترجمة بالإضافة إلى نشاطات أخرى تكميلية مثل النسخ والتجليد ... وما شابه ذلك.

أما قاعات المكتبة فقد اقتصر النشاط فيها على المطالعة والقـراءة، ولم تشر معظم النصوص إلى أن بيت الحكمة قد شهد وجود مجالس علميـة بالمعنى المتعارف عليه من وجود أسطوانات أو قاعات خاصة للمحاضرات يجتمع فيها طلاب العلم للتلقى على أستاذ ما.

ولقد رأينا كيف احتضن بيت الحكمة جماعات ومـدارس الترجمـة، وغيرها من الجماعات العلمية، حيث وجد فيه العلماء الجو المناسب والمشجع على ممارسة النشاط العلمى بكل صوره المعروفة آنذاك. بالإضافة إلى الدور التاريخى الفعال الذى لعبه بيت الحكمة فى نقل علوم الأمم الأخرى إلى العالم الإسلامى.

أما عن تأثير بيت الحكمة فى إيجاد نمـاذج مماثلـة فـى الأقطـار الإسلامية المختلفة، فلقد وجدنا أن معظم المكتبات التى انتشرت فـى العـالم الإسلامى قد اتخذت "بيت الحكمة" نموذجاً يحتذى به، مثل: مكتبة الفتح بـن خاقان، ومكتبة قرطبة، ومكتبة دار الحكمة بالقاهرة، وخزانـة سـابور بـن أرديش، ودار العلم فى الموصل التى أنشأها جعفر بن حمدان الموصـلى ... وكان لكل ذلك أثره الفعال فى نشاط الحركة العلمية على وجـه الإجمـال، ومن ابرز صورها ازدهار منهج الجدل والحور والمناظرات، فى هذا الاطار وجدت الدراسة مايلى:

شكّل منهج الجدل والحوار والمناظرة أحد الأسس الهامة التى ارتكز عليها المجتمع الإسلامى إبان نهضته العلمية فى القـرنين الثالـث والرابـع الهجريين. فكانت مجالس المناظرات من أكبر العلامـات المميـزة للنـضج العلمى الذى بلغه العلماء آنذاك.

إنه بالبحث عن المؤثرات التى أدت إلى ظهور الجدل والمناظرات فى المجتمع الإسلامى، رجحنا أن المناظرات التى عرفت فى ذلك الوقت تعتبر صورة متطورة لما دار فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من مناظرات ومحاورات عقائدية بين الطوائف المختلفة. ومن أشهرها، المناظرات والمحاورات التى جرت بين الصابئة والحنفاء فى المفاضلة بين الروحانى المحض، والبشرية النبوية. ثم اتخذ فن المناظرة، والحوار صورته النهائية التى عرف بها بتأثير المنطق الأرسطى، والفلسفة اليونانية فى عمومها. وذلك حينما استعان معظم مفكرى الإسلام فى القرن الأول بالمنطق الأرسطى للرد على خصوم كانوا يتقنون فن الجدال والحوار. ومع بداية النهضة العلمية الإسلامية انتشرت مجالس المناظرات انتشاراً واسعاص فى المجتمع العلمى الإسلامى تبعاً للشغف العلمى لدى العلماء على إثر حركة الترجمة، وبتشجيع من الخلفاء والوزراء والأمراء الذين رأوا فى انعقاد مجالس العلم والمناظرات فى قصورهم من الأمور الهامة فى تسييس الرعية، فضلاً عن كون هذه المجالس مظهراً من مظاهر الأبهة والعظمة. ومما لاشك فيه أن هذا المناخ العلمى قد أخذت نوعاً من التنافس بين العلماء المتناظرين سواء أكانوا أفراداً، أم جماعات ، الأمر الذى انعكس أثره على المجتمع العلمى ككل.

كان من نتائج حركة التنافس داخل الجماعات والمدارس العلمية وخارجها أن أقبل بعض العلماء، والأدباء على اقتناء أكثر من علم وفن حتى يتميزوا عن غيرهم. ومن أمثلة هذه الطبقة من العلماء – فضلاً عن ما ذكر فى سياق الموضوع – الفراء بن زياد الكوفى النحوى الذى قيل عنه: لولاه لما كانت عربية لأنه هذبها وضبطها. وقال ثمامة بن أشرس المعتزلى: ذاكرات الفراء فوجدته فى النحو نسيج وحده، وفى اللغة بحراً، وفى الفقه

عارفاً باختلاف القوم، وفى الطب خبيراً، وبأيام العرب وأشـعارها حاذقـاً. وصنف الفراء للمأمون كتاب الحدود فى النحو، وكتاب المعـانى، واجتمـع لإملائه خلق كثير منهم ثمانون قاضياً. وعمل كتاباً على جميع القـرآن فـى نحو ألف ورقة لم يعمل مثله.

وبالبحث عن أنواع المناظرات، وجدنا أنها لم تختص بعلوم معينـة دون سواها، بل شملت مجالس المناظرات معظم العلوم المعروفـة آنـذاك، وإن كانت قد ابتدأت بعلوم الدين، ثم تطورت إلى مناظرات علمية، وأدبيـة، وفلسفية، ومنطقية، ... وغير ذلك مما قد آتينا على ذكره كل فى موضعه.

أما عن الأسس التى قامت عليها المناظرات وشكلت بنيتها الأساسية، فقد رأينا كيف أن مفكراً كابن خلدون يضمن "مقدمته" الآداب والأحكام التـى وضعها بعض الأئمة، والتى ينبغى على المتناظرين أن يقفوا عند حدودها فى الرد والقبول، فبيَّن حال كل من المستدل والمجيـب، وكيـف يكـون الأول مسئولاً، والثانى معترضاً مبيناً محل معارضته. ومتى يجب على المـستدل السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال. وقد رأينا كيـف التـزم المتنـاظرون والمتجادلون بهذه الآداب، وتلك الأحكام فى معظم المناظرات التى أوردناها، ولم يخرجوا عنها إلا فى القليل النادر، حيث كان هناك اتجاه عـام يوجـب سخط ورد من الحاضرين على من يخرج عن القواعد العامـة للمنـاظرة. وقد رأينا كيف أوقف المأمون، ولام محمد بن أبى العباس عندما تطاول على مناظرة على بن الهيثم فى مناظرة دارت بين الاثنين فى حضرته.

ولقد كان لمنهج الجدل والنقاش والمناظرات تأثيرا بالغا، لـيس فـى المجتمع العلمى فحسب، بل فى اضطراب أحوال المجتمع ككل. فلقد رجحنـا أن معظم الاختلافات والنزاعات بين المذاهب والفرق الدينيـة قـد ابتـدأت بالجدل والنقاش. وعادة ما يبدأ الجدل بفرد واحد لا يوافق على آراء فرقـة

أو جماعة ما، ثم يحدث أن يلتف حوله من يؤمن بآرائه، ويستمر الأتباع فى الازياد إلى أن يشكلوا جماعة جديدة أساسها هؤلاء الأفراد الذين يلتفون حول رئيسهم، ولهم هدف واحد مشترك هو إما التنافس، وإما الصراع ضد الجماعات والمدارس الأخرى المناهضة لهم، وذلك بغرض سيادة آرائهم. ومادام الأمر يتعلق بتبنى آراء جديدة ومحاولة فرضها على المجتمع، فيمكن أن نطلق على أصحابها "جماعة علمية" بوجه من الوجوه. وعلى ذلك يمكن اعتبار المعتزلة "جماعة ومدرسة علمية"، والأشاعرة "جماعة ومدرسة علمية" والماتريدية "جماعة ومدرسة علمية" قامت كلها على التنافس فيما بينها من أجل انتصار كل جماعة ومدرسة لما تؤمن به من آراء.

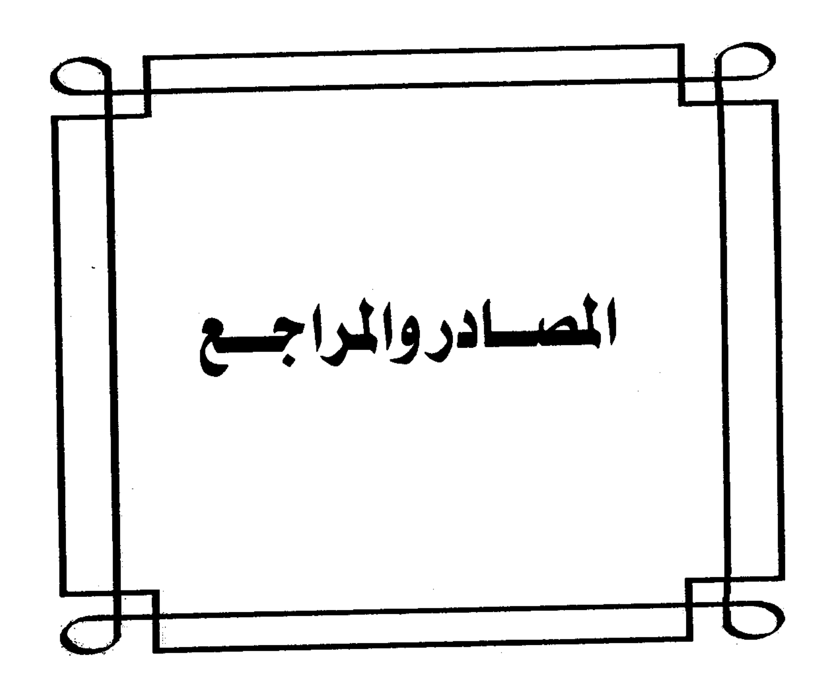
وإذا كان التنافس قد ساد بين هذه الجماعات والمدارس، فإن هناك من الجماعات والمدارس من اتخذت الصراع سبيلها الوحيد، مثل جماعة "ميمون القداح" مؤسس المذهب الإسماعيلى. وجماعة "الشيعة" التى صارعت أهل السنة حول مسألة الإمامة. ومما لاشك فيه أن آثار الصراع بين تلك الجماعات قد انعكست على المجتمع الإسلامى بصورة سلبية فى الفترة التى يدور حولها البحث، ومازالت هناك بقايا لهذا الصراع فى الوقت الراهن.

أما الجماعات والمدارس العلمية البحتة، فمما لاشك فيه أنها قد تأثرت تأثراً بالغاً بنشاط المناظرات والجدل سواء فى تكوينها، أو فى استمرارها وبقائها فى المجتمع العلمى الكبير، حيث نتصور أن العالم الذى كان يدخل فى مناظرة مع عالم آخر حتى ولأول مرة، ويحدث أن تنتهى المناظرة لصالحه، فسرعان ما ينضم إليه المريدون الذين يريدون التعلم عليه. وهؤلاء التلاميذ يشكلون باستمرارهم فى عملية التعلم جماعة علمية، ويصبح ذلك المعلم الأول هو رئيس تلك الجماعة. وتسعى الجماعة رئيساً

وأفراداً إلى تحقيق هدفها الرئيس، وهو العلم بكل ما يشتمل عليه مـن نظـم ومراحل.

وبناء على ذلك، فإننا نرى أن معظم العلماء الذين كانوا أطرافاً فـي المناظرات التى آتينا على ذكرها فى سياق الموضوع قد شكلت ومـدارس علمية مميزة لعبت دوراً هاماً فى تقدم المجتمع العلمى الإسلامى ورقيه فـى ذلك الوقت.




المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت (د.ت).

ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، طبعة إدارة الطباعة المميزة، القاهرة 1357هـ.

ابن جُلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، طبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة 1955.

ابن خلدون: المقدمة، طبعة المكتبة التجارية بمصر (د.ت).

ابن خِلكَان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيى الدين، دار النهضة المصرية 1949.

ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبنانى 1983.

ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، طبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د.ت).

ابن النديم: الفهرست، طبعة القاهرة القديمة 1948.

أبو حيان التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، ضبط وتصحيح أحمد أمين، وأحمد الزين، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939.

أبو القاسم الزجاجي: مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ودار الرفاعى بالرياض، ط. الثانية 1403هـ.

أبو القاسم الفردوسي: الشاهنامة، ترجمة الفتح بن على البندارى، تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الثانية 1933.

أبو نصر الفارابى: إحصاء العلوم، تحقيق د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. الثالثة 1968.

البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق فوزى عطوى، طبعة بيروت (د.ت).

حنين ابن اسحق: المسائل فى الطب، تحقيق د. محمد على أبو ريان وآخرين، دار الجامعات المصرية 1978.

خير الدين الزركلى: قاموس تراجم الرجال والنساء، طبعة بيروت (د.ت).

الشهرزورى: نزهة الأرواح وروضة الأفراح، المعروف بـ"تواريخ الحكماء" تحقيق مركز التراث القومى والمخطوطات بجامعة الإسكندرية، إشراف د. محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ط. الأولى 1993.

الـــــــشهرستانى: الملل والنحل، بهامش كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم، المطبعة الأدبية، القاهرة 1317هـــ.

القفطـــــــــــــى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة القاهرة 1326هـــ.

محمد بـــن جريـــر الطبـــــــــرى: تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبو الفــضل إبـــراهيم، دار المعارف، القاهرة 1977.

المـــــــسعودى: مروج الـــذهب ومعـــادن الجـــوهر، دار الأنـــدلس، ط. الأولى، بيروت 1965.

المقريــــــــزى، تقى الدين أحمـــد: كتاب المواعظ والاعتبار بـــذكر الخطـــط والآثـــار، المعروف بالخطط المقريزية، طبعة بولاق1270هـــ.

أحمـــــد أمــــين: ضُحى الإسلام، دار الكتاب العربى، الطبعة العاشرة، بيروت (د.ت).

..................: ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة 1962.

د. أحمـــد شـــلبى: دراسات فى الحضارة الإســـلامية، الجـــزء الرابـــع، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهـــضة المـــصرية 1966.

د. حسن إبـــراهيم: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، 4 أجزاء، ط. الرابعة عشرة،دار الجيـــل، بيـــروت، ومكتبة النهضة المصرية القاهرة 1996.

د. حسن حنفى: هموم الفكر والوطن، التراث والحداثة، دار قباء، القاهرة، ط. الثانية 1998.

28.د خالد حربى أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (9) حنين بن اسحق، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة، ط. الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

29..............: أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (10) اسحق بن حنين، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة، ط. الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

30-.............: دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (1) أبقراط، إعادة اكتشاف لمؤفات مفقودة، ط. الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، 2009.

31-.............: دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) جالينوس، إعادة اكتشاف لمؤفات مفقودة، ط. الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، 2009.

32-.............: علم الحوار العربى الإسلامى، آدابه وأصوله، ط. الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

33-د. شوقى ضيف: العصر العباسى الثانى، دار المعارف، ط. الثالثة، القاهرة 1973.

34-صالح أحمد العلى وآخــــرون: العراق فى تاريخ، طبعة بغداد 1982.

35-د. عبد الحليم منتصـــــــــــر: تاريخ العلـم ودور العلمـــاء العـــرب فـــى تقدمـــه، ط. الأولى، دار المعارف 1966.

36-د. ماهر عبـــد القـــادر محمـــد: التراث الإسلامى، العلوم الأساسية، المركز المصرى للدراسات والأبحاث، الإسكندرية (د.ت).

37-..........: حنـــين بـــن اســـحق، العـــصر الـــذهبى للترجمـــة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1997.

38-............: دراسات وشخصيات فى تـــاريخ الطـــب العربـــى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991.

39-د.محمد علـــى أبـــوريــــــان: :تاريخ الفكر الفلـــسفى فـــى الاســـلام،دار المعرفـــة الجامعية،الاسكندرية 1996

ثانيا: مراجع مترجمة وأجنبية

1. **إمرى لاكاتوش:** برامج الأبحاث العلمية، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2000.

2. **دى بور:** تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، دار النهضة العربية، ط. الخامسة 1981.

3. **دلاسى أو ليرى:** الفكر العربى ومكانته فى التاريخ، ترجمة تمام حسان، القاهرة (د.ت).

4. **شاخت وبوزورث:** تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهورى وآخرين، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، ط.الثانية، الكويت 1988.

5. **شاريف:** الفكر الإسلامى منابعه وآثاره، ترجمة أحمد شلبى، ط. الخامسة، مكتبة النهضة المصرية 1975.

6. **ماكس مايرهوف:** من الإسكندرية إلى بغداد، بحث صدر فى كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، نشره عبد الرحمن بدوى، مكتبة النهضة المصرية 1940.

7. **نيقولا ريشر:** تطور المنطق العربى، ترجمة محمد مهران، ط. الأولى، دار المعارف القاهرة 1985.

8. Holt, P. M & Ann, K.S.L. and Lewis; Bernard : The Cambridge History of Islamic Society and Civilization, Vol. 28, Cambridge University, Press 1970.

9. Stephen F.Masan : A History of the Sciences, First Collier Books Edition, New York 1962.

10.Watt;Montgomery : The Islamic World, First Edition, London, 1974.

فهرست الكتاب

الموضـــــوع	رقم الصفحة

أعمال الدكتور خالد حربى

- **بُرء ساعة:** للرازى (دراسة وتحقيق) الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999، الطبعة الثانية، دار الوفاء 2006.
- **نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية:** الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999.
- **أبو بكر الرازى حجة الطب فى العالم:** الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر، الطب فى العالم، الإسكندرية 1999، الطبعة الثانية،دار الوفاء، الإسكندرية 2006.
- **خلاصة التداوى بالغذاء والأعشاب:** الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر الإسكندرية 1999، الطبعة الثانية 2000، توزيع مؤسسة أخبار اليوم، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، الإسكندرية 2006.
- **الأسس الابستمولوجية لتاريخ الطب العربى:** الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2001، الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2006.
- **الرازى فى حضارة العرب:** (ترجمة وتقديم وتعليق)، الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002.
- **سر صناعة الطب:** للرازى (دراسة وتحقيق)، الطبعة الأولى،دار الثقافة العلمية الإسكندرية 2002، الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2006.
- **كتاب التجارب:** للرازى (دراسة وتحقيق)، الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002، الطبعة الثانية دار الوفاء، الإسكندرية 2006.

- **جراب المجربات وخزانة الأطباء:** للرازى (دراسة وتحقيق وتنقيح) الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2000، الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2006.

- **المدارس الفلسفية فى الفكر الإسلامى (1) "الكندى والفارابى":** الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية 2003. الطبعة الثانية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.

- **دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (1) علم المنطق الرياضى:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2003.

- **دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (2) الغائية والحتمية وأثرهما فى الفعل الإنسانى:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2003.

- **دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (3) إنسان العصر بين البيولوجيا والهندسة الوراثية:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2003.

- **الأخلاق بين الفكرين الإسلامى والغربى:** الطبعة الأولى منشأة المعارف، 2003. الطبعة الثانية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.

- **العولمة بين الفكرين الإسلامى والغربى "دراسة مقارنة":** الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية 2003. الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2008، الطبعة الثالثة، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2010.

- **العولمة وأبعادها:** مشاركة فى كتاب "رسالة المسلم المعاصر فى حقبة العولمة"، الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر – مركز البحوث والدراسات، رمضان 1424، أكتوبر – نوفمبر 2003.

- **الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى اللاحقين**: الطبعة الأولى، دار الوفـــاء، الإسكندرية 2003، الطبعة الثانية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **ملامح الفكر السياسى فـــى الإســـلام**: الطبعـــة الأولـــى، دار الوفـــاء، الإسكندرية 2003. الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2009.
- **دور الاستشراق فى موقف الغرب من الإسلام وحضارته (بالإنجليزية)**: الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، 2003.
- **شهيد الخوف الإلهى، الحسن البصرى**: الطبعـــة الأولـــى، دار الوفـــاء، الإسكندرية 2003. الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2006.
- **دراسات فى التصوف الإسلامى**: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2003.
- **بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية**: الطبعة الأولى، دار الوفـــاء، الإسكندرية 2004. الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها فى الآخر**: الطبعة الأولـــى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005.
- **مقالة فى النقرس للرازى (دراسة وتحقيق)**: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005، الطبعة الثانية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **التراث المخطوط، رؤية فى التبصير والفهم (1) علـــوم الـــدين لحجـــة الإسلام أبى حامد الغزالى**: الطبعة الأولـــى، دار الوفـــاء، الإســـكندرية 2005.

- **التراث المخطوط رؤية فى التبصير والفهم (2) المنطق:** الطبعة الأولى، دار الوفاء 2005.
- **علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية:** الطبعة الأولـــى، سلسلة كتاب الأمة، قطر 2005.
- **علم الحوار العربى الإسلامى "آدابه وأصـــوله":** الطبعـــة الأولـــى، دار الوفاء، الإسكندرية 2006.
- **المسلمون والآخر حوار وتفاهم وتبادل حـــضارى:** الطبعة الأولـــى، دار الوفاء، الإسكندرية 2006. الطبعة الثانية، المكتب الجـــامعى الحـــديث، الإسكندرية 2009.
- **الأسر العلمية ظاهرة فريدة فى الحضارة الإسلامية:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2006، الطبعة الثانية. المكتب الجـــامعى الحـــديث، الإسكندرية 2009.
- **العبث بتراث الأمة فصول متوالية (1):** الطبعـــة الأولـــى، الإســـكندرية 2006. الطبعة الثانية، الإسكندرية 2008.
- **العبث بتراث الأمة (2) مائية الأثر الذى فى وجه القمر للحسن بن الهيثم فى الدراسات المعاصرة:** الطبعة الأولى، الإسكندرية 2006.
- **منهاج العابدين لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى(دراسة وتحقيق):** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2007، الطبعة الثانية، المكتـــب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2010.
- **إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى دراسة مقارنـــة بـــالعلم الحـــديث:** الطبعة الأولى، المنظمة الإسلامية، للعلوم الطبية، الكويت 2007.

- **مخطوطات الطب والصيدلة بين الإسكندرية والكويت**: الطبعة الأولـــى، دار الوفاء، الإسكندرية 2007.
- **مقدمة فى علم "الحوار" الإسلامى**: الطبعة الأولـــى، المكتـــب الجـــامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **تاريخ كيمبردج للإسلام، العلم (ترجمة وتقديم وتعليق)**: الطبعة الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **علوم الحضارة الإسلامية ودورها فى الحـــضارة الإنـــسانية**: الطبعـــة الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (1) أبقـــراط "إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة"**: الطبعة الأولـــى، المكتـــب الجـــامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) جالينوس "إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقـــودة"**: الطبعة الأولى، المكتـــب الجـــامعى، الإسكندرية 2009.
- **مدارس علم الكلام فى الفكر الإسلامى المعتزلـــة والأشـــاعرة**: الطبعـــة الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإســـلامية (1) تيـــاذوق، إعـــادة اكتـــشاف لنصوص مجهولة ومفقودة** الطبعة الأولـــى، دار الوفـــاء الإســـكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (2) ماسرجويه البـــصرى، إعـــادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقـــودة**: الطبعـــة الأولـــى، دار الوفـــاء، الإسكندرية 2010.

- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (3) عيسى بن حكم، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (4) عبدوس، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (5) الساهر، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (6) آل بختيشوع، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (7) الطبرى، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (8) يحيى بن ماسويه، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (9) حنين بن اسحق، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

- **أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (10) اسحق بن حنين، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:** الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.
- **طب العيون فى الحضارة الإسلامية:** أسس واكتشافات، ط. الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2010.
- **طب الباطنية فى الحضارة الإسلامية "تأسيس وتأصيل":** ط. الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2011.
- **أسس النهضة العلمية فى الاسلام:** ط. الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2011.



رقم الإيداع : 2012/2845
الترقيم الدولى :0-942-237-977-978

مع تحيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: 5404480 - الإسكندرية